

بأي ميزان تزن الحياة^(١)

بقلم الاستاذ توفيق هياب

اخواتي واخوتي

كذلك السر الغامض الذي يبدأ بالميلاد وينتهي بالوفاة ، ذلك السر الغامض الذي نسميه الحياة ، ونرى أنفسنا في غماره متدافعين الى الامام أو متراجعين الى الوراء ، ذلك البحر الخضم الذي تلقينا بين أواجه يوم نولد قوة خفية ، حتى إذا سبحنا فيه شوطاً قصر أو طال ، نزعتنا منه تلك القوة الخفية حين يحل الأجل ، هذه المعركة التي نساقي اليها غير مختارين ، ونفصل عنها غير مختارين ، هذه الحياة ما هي ؟ وما غايتها ؟ ولماذا ولدنا ؟ ولماذا نموت ؟

ليت أحداً يستطيع الجواب عن هذا السؤال في كلمة أو كلمات . إذن لاستراح الفلاسفة وأصحاب المذاهب المختلفة في كنه الحياة . فقديمًا كان . والى اليوم ما زال هذا السر الرهيب موضوع البحث الملح ومثار الجدل العنيف بين العلماء والمفكرين . وليس عجباً أن يفكر الفلاسفة في مرمى الحياة ، وإنما العجب أن لا يفكر في مرمى الحياة جميع الناس !

لم نولد أجنة وندرج أطفالاً وننشأ صبياً ونراهق فتياً ونستوى رجالاً ونبلغ الكهولة وتدركننا الشيخوخة ، ان قدر لنا أن نعلم ، ثم ماذا ؟ ثم تحف الشجرة وتذوى الازاهير ويتساقط الورق ، وما هو إلا نفس أخير نلفظه فإذا نحن رفات ! وذلك دون أن نفكر يوماً لماذا ولدنا ولماذا حيينا ولماذا نموت ، ودون أن نفكر من أين جئنا وإلى أين نعود ، وهل جئنا من عدم لنعود الى عدم أو جئنا من وجود لنعود الى وجود ؟

وأنت مع ذلك إذا أخذت لك سنة من النوم ، ثم استيقظت فوجدت نفسك في غرفة لا عهد لك بها فان تستقر على حال من الدهش ، حتى تعرف ما هذا المكان ومن ذا جاء بك اليه وكيف جاء بك ولماذا ؟ ستطل من نوافذ الغرفة لترى على أي حديقة أو فناء تشرف ؟ ستفتح الباب فان كان موصداً عاجته حتى يفتح أو يتحطم . فإذا خرجت من الغرفة جعلت تنظر يمنة ويسرة في ذهول وحيرة ، ثم جعلت تطوف بأرجاء الدار سائلاً نفسك أين أنا وما هذه الدار ولمن هي وفي أية مدينة ؟ ولن يهدأ لك بال أو يستقر لك حال حتى تلقاك سيدة هي أشبه ما تكون بالمرضات ، فتنبئك بأن هذه الدار - عافاك الله - مستشفى وأن إغماءة طارئة غشيتك فخاف عليك والدك فاسرع بك إليه . حتى اذا بشر الطبيب أباك بأن الأمر هين لا خطر فيه ، أثر لك

(١) من محاضرة القاها صاحب (الجهاد) في دار جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة

الاقامة هنا أياماً الى أن تستعيد صحتك فترجع الى دارك سليماً معافاً !

حيثند تدرك حقيقة المسكان ومن جاء بك اليه وما السبب افاذا عرفت أن الغاية هي استشفائك بما بك ، لم يزدك علمك بهذه الغاية الا أخذنا بأسبابها واستيفاء لشرائطها ، حتى يتم لك منها ما أرادته والدك وما أصبحت تريده لنفسك

هذا شأننا من الدهش والتساؤل اذا طوحت بنا الطوائع الى مكان نجهله ، فما بالنا تبعثنا الى هذه الدنيا قوة خفية على غير قصد منا ولا اختيار ثم توفانا مستضعفين على غير قصد منا ولا اختيار ، ونظهر ونخفي على سطح هذا المحيط الهائل ، كالفقايص تنتفخ وتنفجر في مثل ملح البصر دون أن يأخذنا دهش يدعونا الى الحيرة والتساؤل والتفكير

لماذا بعثتنا القوة الخفية القادرة الجبارة الى هذه الدنيا ؟ ألنقضى في ههنا أو عنانها . في صحتها أو مرضها . في غناها أو فقرها . في عدلها أو ظلها . في إخوانها أو لئذها . في رفقتها أو جفائها . أو في مزيج من هذا كله ستين أو سبعين عاماً اذا طال بنا العمر ؟

وما ستون أو سبعون عاماً في امتداد الأزل الذي لا أول له ، وفي امتداد الابد الذي لا نهاية له ؟ إن العلماء ليحصون السنين التي سلختها الانسانية على هذا الكوكب بالملايين لا بالالوف . ويقدرولها البقاء فيه ملايين أخرى تربو على الأحصاء ؟ فما أنا وما انت ، وما نصيبي وما نصيبك من هذا السرمذ الذي تحارفيه الألباب ؟ ذرة ضئيلة من جبل أشم . قطرة هينة من محيط مترام واذن في حياتك وما حياتي وما حياة هذا الجيل كله وما حياة الامم الحاضرة كلها . حتى نجعل موضوع هذه المحاضرة (باى ميزان تزن به حياتك ؟)

ان التاريخ المدون او المكتوب لا يعدو ستة آلاف من السنين . وهى التى شغلت اقلام المؤرخين . وهى التى ظهرت فيها حضارات واختفت حضارات . وارتقت امم وانحطت امم . وهى التى وقع فيها من المظالم والحروب وطمى فيها من الرق والاستعباد ، وتقلب فيها من العقائد والأديان ، واختلاف فيها من طرائق الخير والشر ، وتعاقب فيها على الجماعات والافراد من السعادة والشقاء ، واطلم فيها من الضلالات والجهالات ، وأضاء فيها من المعارف والعلوم ما يضيق عن الاحاطة به مئات الألوف من المجلدات . وهذا كله تراث ستة آلاف من السنين . وماهى من ماضى الانسانية المجهولة ومن تاريخها غير المكتوب . وماهى من مستقبل الانسانية الذى لا تترامى الى حدوده عين الخيال — الا بمثابة الدقيقة الواحدة من الوف الاعوام

اذن أليس من الغرور أن أتكلم عن حياتك وحياتي وعن ميزان حياتك وميزان حياتي ؟ . ما حياتك وما حياتي اذا قستها بهذا المقياس الخفيف ؟ انك لو نظرت اليها بالميكروسكوب لعز على الميكروسكوب ان يكشفها لمن ينظر اليها من افق الأزل القديم والابد الخالد ألا تصدق ؟ اذن ألا تعلم أن كوكبك هذا الذى عاش فيه أجدادك من البشر ملايين السنين

وسيعيش فيه احفادك ملايين أخرى لا يحصيها العد ، ان لم يصطدم به جرم سماوى آخر فاذا أرضك هباء في مثل قصف الرعد — الا تعلم ان هذه الارض بماضيها الزاخر ومستقبلها الباهر انما هي شظية تطايرت من الشمس كما تتطاير الشرارة من التنور الهائل المستعر ، فجالت شرارتك في الفضاء حتى أخذت مدارها من نظامنا الشمسى واستحالت حصاة (مستقلة ذات سيادة)

انا وانت وهو وهى وهم وهن آحاد في عداد ملايين الامة المصرية . والامة المصرية احدى العشرات الكثيرة من امم هذا العصر . وامم هذا العصر حلقة قصيرة من سلسلة ترجع الى ماض لا يدرك الخيال مبتداه . وتمتد الى مستقبل لا يدرك الخيال منتهاه على هذه الارض . وهذه الارض شظية كانت ملتبة تناثرت من الشمس فدارت من نظام السكون حيث تدور ؟ فهاذا عسى أن تكون حياتى وماذا عسى أن تكون حياتك ؟ لاسيما وانت تعلم ان نظامنا الشمسى ليس إلا واحداً من نظم كثيرة تماثله ، لو أطلنا التفكير في كونها وفي تلك القوة الخفية التى تسخرها لقضينا أعوامنا الستين أو السبعين في التفكير ، دون أن نزداد في تفهمها إلا ذهولاً وحيرة سيداتى وساداتى : هل تحملون منى كلمة جريئة ؟ اذن تفضلوا فاسمعوها :

إذا كانت الحياة هى الأعوام الستين أو السبعين التى نعيشها فى هذه الدنيا ، من غير أن نكون مرتبطين قبل قدومنا بقوة هى التى بعثتنا لحكمة ، ومن غير أن نكون مرتبطين بعد رحيلنا بقوة هى التى استدعتنا اليها لحكمة ، اذا كانت الحياة مصدرها العدم ومصيرها العدم ، اذا كان مولدنا فى هذه الارض مصادفة لم تقصدها قوة مريدة مدبرة ، وكان موتنا مجرد انتهاء لهذه المصادفة ، اذا كان وجودنا مجرد نتيجة آلية عضوية لمجرد تفاعلات آلية عضوية ، وكان زوالنا نتيجة مادية لاسباب مادية لا أقل ولا أكثر ، اذا كانت أيامنا برزخاً تاعساً بين بلقيع : بلقيع الماضى قبل أن نولد ، وبلقيع المستقبل بعد أن نموت ، اذا كنا فى هذه الدنيا مجرد أحلام زائلة وأشباح حائلة ، اذا كان كل هذا الغناء وهذا الكدح وهذه الآلام وهذه الأمراض وهذه الخطوب التى نشاهدها أو نحتملها أو نكافحها فى سبيل الانسانية ، اذا كانت كل هذه الحضارات وهذه العلوم وهذه الفنون وهذه الآداب التى تسمو اليها الامم جيلاً بعد جيل ، اذا كانت هذه الشرور كلها وهذه الخيرات كلها ليس وراها إلا مطلب واحد ، هو أن يعيش كل فرد من الناس خمسين أو ستين عاماً محدودة بحددين . عدم مطلق منذ الأزل وعدم مطلق الى الأبد . ما عدا هذه الأعوام الخمسين أو الستين ؟ — اذا كان الأمر كذلك فما أحق الأحياء الذين يؤمنون بهذا العدم من قبل ومن بعد ثم يعيشون ان الاتحار أولى بهم وأجدر . اما أنا فلو كنت منهم لانتحرت . ان هذه الأعوام الستين التى يعيشها المرء فى هذه الدنيا لا تساوى فى ذاتها غصة الفقر ولا ذلة الحاجة عاماً واحداً . انها فى ذاتها لا تساوى برحاً المرض الممض نصف عام . انها فى ذاتها لا تساوى احتمال ظلم الظالمين ولا جبروت المتجبرين . ان المرء ليصادف فى هذه الأعوام الستين أو السبعين من

ضروب الأذى ما لا يحتمله إلا لشعور واحد، هو أن الحياة سر قديم خالده، لا حياة الجماعة، فحسب بل حياة كل فرد من أفرادها كبر أو صغر، جل في نفوس الناس أو هان.

إذا سألت بعض علماء المادة الذين يرون حياة الفرد مسبوقة بعدم منتهية إلى عدم. إذا سألتهم لماذا يعيشون؟ قالوا نعيش طوعاً لغريزتين: غريزة الحرص على بقائنا، وغريزة الحرص على بقاء النوع. أما حرصنا على بقاء أنفسنا فواضح في الطفل يتجنب السقوط من عل ويتجنب النار اللاذعة والحفرة العميقة. وأما حرصنا على بقاء النوع فواضح في الأم تفسهر على ذرايعها. والأب يعول أبنائه حتى ولو كانت الأم حيواناً اعجم

ونحن نفهم هذا التعلل بقوة الغريزة من غير السادة العلماء. فأما وهم من أهل التفكير الذين من شأنهم أن يرجحوا حكم العقل على اندفاع الغرائز، فقد كان الأولى بهم إذا لم يؤمنوا بأن حياة الفرد اتصالاً وثيقاً بالخلود، كان أولى بهم أن يدركوا هذه الاعوام القليلة التي ستسلمهم عما قريب إلى الفناء، — هذه الاعوام لا تستحق منهم عناية البحث والتنقيب في مظاهر كاذبة، ولا تستحق منهم هذا العكوف على المعامل والآلات والمنظار المكبر والمنظار المصغر والتعليل والتحليل والكدح بالليل والنهار، للوصول إلى حقائق مهما تكن في نظرهم جليلة فهي تافهة مادامت هذه الخلائق الانسانية — والسادة العلماء في طبيعتها — كائنات تافهة تظهر اليوم من ظلام العدم لتنتهي، غداً إلى ظلام العدم. كان أولى بهم أن يقفوا مبشرين بالفناء وأن يقولوا للناس فيم الكد وفيم العناية في سبيل غاية مقفرة مظلمة، إلى العدم العاجل بيدك أنت ايها الانسانية مختارة طائعة. فذلك اكرم واروح للبال من ان يحل بك العدم غير طائعة ولا مختارة

يقولون إن حياة الانسانية شيء وحياة الفرد شيء آخر. حياة الفرد إلى العدم. فاما حياة الانسان فإلى البقاء. لذلك يندمون الانسانية بالعلم والفن والادب ليحجى الجيل اللاحق خيراً من الجيل السابق. ولتجىء الحضارة الآتية اعظم واروع من الحضارة الماضية. وهذا في الحق سخف عظيم! لأن معناه أن جميع الاجيال الماضية وجميع الاجيال الآتية كانت وستكون مجرد عتبات ومندارج، أو مطايا وبراذع، يعلوها في النهاية آخر جيل تتمخض عنه الانسانية. فإذا استوى الجيل الأخير على قمة المجد لم يكن مجده خالداً، بل كان مجده زائلاً كذلك. ولو عمر الانسان الأخير بفضل العلم ألف سنة ثم ينقضى هذا الجيل الآخر بانقضاء صلاح الارض للحياة. وانتهت الدنيا إلى غايتها! وفنيت حرارة الشمس وانطفأ ضياؤها، واستحالت البحار جليداً والشجر والنبات هباء، وأمست الانسانية عدماً مطلقاً إلى آخر نسمة فيها. ولم يبق للانسان المسكين حتى ولا الذكرى. اذ منذ اذكر الانسان وقد انمحي من صفحة هذا الكون آخر انسان. وانمحي لا يسمو إلى عالم آخر ولكن ليبقى غريقاً في غمرات الفناء خالداً فيها أبد الآبدين

وحي جبال شاموني

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

شاموني أو شامونيكس (Chamonix) قرية من قرى مقاطعة سافوا العليا تقع في جبال الالب ترقب الجبل الابيض ويشرف هو عليها ، يقصدها الناس يصطافون فيها ويشتون . تنوع مناظرها فتنة وأشجارها الناطحة السحاب وصخورها صقلها الثلج من آيات الجمال الطبيعي كان الكاتب الانجليزي جون رسكن (John Ruskin) يلجأ اليها يستوحى غاباتها وجبالها رسائل في الاصطلاح الاجتماعي وقد انفق عليه وقته وماله فتأني وتمنع وتود عليه أن يكتفى بما وهبته الطبيعة من نبوغ في الفن والادب

وكان يأوى أيام اقامته بالقرية الى صخرة يضطجع عليها تظله الاشجار موليا وجهه قبلة الجبل الابيض حتى اذا قضى نحبه نحت أهل القرية صورته من تلك الصخرة وعليها ودعوها صخرة رسكن ، وهي تعرف بهذا الاسم حتى الساعة

يمتها وجالست عليها — وما انا من عشاق هذا الفنان — فما راغني الا هذه العظمة في الطبيعة وهذا الجمال ، وانصراف ابن آدم عنها الى لذة الجسد ومتاع الساعة ، وقد كتبت السطور التالية في ذلك الوقت جزءاً من رسائل بعضها نشر وبعضها لم ينشر واني لا أعلم — وقد حاسبت ضميري — انها كانت أحسن ما كتبت ان وجد شيء حسن فيما كتبت

بم أشبه هذا الجبل . وبماذا ينبغي أن يشبه ؟

كيف ، أصف ما في الجبال من عظمة ومن وقار ومن جمال يبدو لك وأنت بعيد عنه فيملاً خيالك اعجاباً وبصور لك هذا البعد الفن ممثلاً فيه ، فاذا ما اقتربت منه ودخلت حراجه وتسلفت صخوره ولمست اشجاره ، دعر خيالك اذ يرى الجمال والعظمة يندوبان رويداً رويداً امامه وينزلان من قمة التصور الى موطئ القدم

يبدو لك القريب الذي كان بعيداً وتظهر عيوبه . فالشجرة قد اعترها اليبس والصخرة تفتت تراباً ، والارض منها المرتفع ومنها المنخفض شأنها في كل الطرق على غير الجبال

فتبعد عن الجبل وقد ازدريته ثم تبدو منك النفاتة الى الورا فيعود يسحرك بجباله ويرجع فيأخذ عليك حواسك عظمة وجلالا

انه اشبه الاشياء بالنابغة العبرى

تقرأ الشمس الخالد فتنبئ للشاعر قصراً شامخاً يكاد يمس عرش الآلهة ، فإذا قربت منه وخبرته
أو قرأته ودرست حياته رأيته بشراً مثلك له كل عيوبك وقد لا يكون له كل فضلك
وتسمع بالقادة الزعماء الذين استهوا الجماهير فساقوهم إلى الثورة أو إلى الحرب أو إلى الإصلاح
فيصور لك البعد عملهم كالأقوالهم حكمة وتبرز لك أشخاصهم متقنة الصنع أبدع ما أتقن الخيال . ثم
تتاح لك عشرتهم أو تطلع على سيرتهم الخاصة فإذا أنت أمام رجال مثلك يحبون ويكرهون وينفضون
ويرضون ويطمعون ويزهدون بل وقد يتسفلون حيث يعلو سواهم فتعود نادماً منكراً ما أعددت له
من حق في التصور وتزعم أنك أنت أولى بذلك منه

ذلك لأن نظام الطبيعة في الأشياء وفي الأشخاص يأبى الوحدة - ماذا أقول ؟ بل يأبى التناقص
فالطبيعة تكره السكوت ولا تسمى إليه رغم مايقوله لنا علماء الاخلاق . بل هي تجمع ما تناقض
في واحد . فحيث الذكر هناك الاثني وحيث السرور هناك الفهم وحيث العلو هناك الانبوط وحيث
الجمال هناك القبح

أرأيت إلى تلك الزهرة جميل لونها فأثخ عطرها قائمة على سفح الوادي يحيطها المطر وتنعشها
الشمس ، لا تلبث حتى ينهار عليها صخر من عل فإذا بها أثر بمد عين
لكل شيء في الطبيعة ند يقاومه ولكل شيء في الانسانية ثمن
إذا طمعت بالثروة فسعت اليها وأجهدت نفسك فأحرزتها تفقر غيرك بل تفقر نفسك في
أمور أخرى

قد يتاح لك متاع المال ولكنك قد تحرم متاع الحب الطاهر أو الفكر النير أو رحمة
تبدلها للغير
افعل الشر تمل جزاءك من عملك بالذات وترالجير قد برز من ناحية أخرى من نواحي
ما عملت

انما عقابك على عملك أو ثوابك عليه آت في دنياك كرهت أم رضيت . ولا تقس هذا الثواب
أو ذلك العقاب بمقياس عقلك فانك تضل السبيل ، فعقلك ابن عاطفتك ووليد رغبتك لم يتح له ان يستقل
عنها بعد . فالقانون الذي يعاقب السارق على سرقة من السرقات بالحبس سنة واحدة وآخر على
سرقة أخرى بالحبس سنين - هل أصاب ووزع العدل بالسواء ؟ ألم تحرم الطبيعة السارق لذة الحياة
المطمئنة ولذة العمل ولذة الكسب منه ؟ دع عنك ما حرمه اياه القانون . فالطبيعة تكره الكمال
ولا ترضى عن عظمة تقوم الا ألبستها نقصاً . وكأن الانبياء اتخذوا من درسها صورة للخلود وللحياة
الأخرى وما وضموها فيها من ميزان عادل يوزع الامر بين الناس بالقسطاس
نعم . انما تجزى كل نفس بما صنعت وكل شيء بما هو عليه ليس في الآخرة فحسب بل في هذه
الدنيا أيضاً

فقاموس المقاصة يوزع على الناس وعلى الأشياء أقساطهم في حياتهم بله ما بعد المات
صعود وهبوط . غناه وفقر . وموت وحياة . عذاب وسرور . هذه هي الطبيعة بل هذه هي الحياة
أمر تناقضت واجتمعت في شخص فسموه عقلا وعواطف وسموه الانسان . واجتمعت في شيء
فسموه جبالا وبحاراً وبرداً وحرراً وموتاً وحياة وسموه الطبيعة

ما أشبه الجبل بالنابغة أو ما أشبه النابغة بالجبل ! في أن كلا منهما يحتوى كلما حوله
فليس الرجل بالعقري أن لم يضم في برديه كل آمال جيله وأمازيه وكل ماضى يومه وتقاليده
وكل مظمح لامته وكل مثل عال
نقرأ النابغة فترى انه ترجم فكرك وقال ما هممت أنت بقوله فلذا سارت أقواله
مضرب الامثال

وليس النابغة من يرتل الشعر فلا تدرك ما يقول أو يكتب فلا يعبر عن فرحك وحزنك
وعن أملك وعن شعورك - لا - انما النابغة من أخذ أبسط الأمور في الحياة فحكاها رأياً جامعاً
في ثوب لا يبلى ، او تناول اقرب الاشياء الى النفس ففطن بها فكراً حياً يعيش ابد الدهر
كذلك الجبل العظيم الفخم الجميل . انظر اليه - ألم يحو الصخور الكبير منها والمتحطم .
والاشجار الشامخ منها والضارب رأسه في الأرض ؟ انه جمع الوحدات وضمها كلها ضمة واحدة حتى
تكاد تحاله مستقلاً عما حوى ، اذ يهرك وقار عظمته . وما هو الا هذه الحجارة وهذا النبات اتخذوا
شكله قالباً رفيع الشأن

ايه جبال شاموني - ثم لجأ اليك واستظل غاباتك غير الكاتب الانجليزى الذى خلدت ذكراه
من عبقرى ذائع الصيت او عبقرى صامت منزو او رجل عادى لم تر منه الطبيعة إلى فوق
المستوى فابقته ثابت الايمان وطيد الرجاء - وكلهم ينشد في خلوته على صخورك وتحت اشجارك
العزاء في احزانه او السلوة في شجونه او الهناء اذ عز عليه في الاندية البشرية
منهم من رأى في جوارك بعينه وبقلبه فارسل وحيه كتاباً خالداً يأخذه الآخرون ويتمتعون
به في نفس هذا الجوار
شكراً ايها الجبال الخالدة خلود ما توحينه إلى الناس - شكراً لى اياديك البيضاء على
وعلى الناس

مقتطفات

بقلم الاستاذ احمد راعى

الى مصر

إننى في رباك فتحت عينيَّ
وسقاني النير من نيلك العذ
وغذاني ثراك فاشتد غرسى
فيك اهلى وفيك مثنوى أبي البر
ونواحيك رددت ما افاض الش
ومناحيك مسرح الفكر تجاو
سمعت ضحكتي صبيهاً وأصغت
فأبصرت أول الانوار
ب فروى تعطشي وأوارى
وصفا موردى وطاب قرارى
ومفدى الخلفان من سمّاري
هر في خلوتي من الاسرار
لخيالى ما لى التذكار
لنواحي يجيش في اشعارى

الى ام كلثوم

رنة العود شدوها وصداها
خلقت آهة فكانت عزاء
حنة الناي أو أنين الكمان
من هموم الحياة والاحزان

الجنمى المجهول

كم يزور اليتيم قبرك ظناً
وتطوف الشكلى بمشواك زعماً
ويلوب الاخ الحزين رجاء
كلهم فاقد وانت فقيد
جمعهم بك الامانى فأصبح
أن تكون الابري الآباء
ان تكون الاعز في الابناء
أن تكون الاخ الحبيب النائي
وحد الحزن في اختلاف الشقاء
ت لهم مبعث الاسى والعزاء

المال

بقلم الاستاذ ابراهيم المازني

اوصاني أبي وأبوه وكل جد لي الى الشيخ آدم ، أن أكنز المال ، قالوا : والمال عصب الحياة بل هو الحياة ، ولا قيمة لشيء في الدنيا بغيره ، وليس بحى من ليس له مال ، وغاية حظه أنه موجود في الدنيا ومحسوب في الأحياء - على التسامح ، قالوا : ولا حرية لفقير ، ولا حق لمعدم ، ولا كرامة لمفلس ، وإذا لم يكن للانسان مدخر حين عد اليد حتى الى الأجر الذى عملت به ، فقد خضعت رقبته لمعطيه حقه وهان عليه أمره ، قالوا : وكن من شئت أو ما شئت أدباً أو علماً أو خلقاً ، فليس بمجديك هذا فتيل ولا رافعك كثيراً أو قليلاً ، إذا كنت فقيراً ، وأحر حينئذ بالادب أن يكون من ذنوبك التى تحصى عليك ، وبعلبك أن يكون مدعاة لكراهك أو استئثار ظلمك ، وبالخلق الذى أنت عليه أن يجر عليك الهزيمة والغمط والاستخفاف ، ثم كن من شئت فراغاً أو جهلاً أو سوء خلق ، فلن يضريك هذا إذا كان لك مال ، فانه شفيع لا يخيب ، وستر لا يكشف ، ودرع سميك تقيك وترد عنك النصال مكسرة ، ولا تصدق أن فى دنياك عدلاً أو أن القوانين تكفل لك حقاً ، أو أن كونك إنساناً يجعلك مساوياً لأى إنسان سواك . إنما العدل هو المال ، والحق هو المال ، والمساواة هى المال . وعلى قدر مالك تكون الرغبة فى انصافك ، والاجتهاد فى إعطائك حقك وتقديمك أو تأخيرك ، ورفعك وحطك . بل نظرة الانسان الى الانسان ترق أو تجفو ، وتدعو أو تطرد . وتكرم أو تهين ، وترحب أو تغضى ، ويلع فيها نور البشر أو يفتريها الملأل أو يسودها النفور ، تبعاً للمالهما . والمال يقلب المذام محامد ، والفقر يعكس الآية ويقلب القضية

قالوا : ولا ديمقراطية ما دام ان فى الدنيا شيئاً اسمه المال ، لان المال يقسم الناس فريقين غنياً أى ليست به حاجة . وفقيراً أى به حاجة . ولا يستوى مستغن ومحتاج . وكل ما يحاوله الانسان من تنظيم حياة الخلق على قواعد الاشتراكية او الشيوعية او غيرهما مما يمكن أن يخطر له عبث وباطل ومغال . فاعرف هذا واجعل همك وكذك جمع المال وتكديسه فانه اجدى عليك من كل تعبك تحت الشمس

قالوا : وقد كان اليونان الاقدمون يزعمون فى بعض اساطيرهم ان المرء بعد الموت ينحدر الى وادى الاشباح . وهناك تلقى « اتروب » الموتى ويخصيهم . ويسلمهم الى « شارون » النوى

ينقلهم على زورقه ويعبر بهم نهر « ستيكس » - أو نهر النسيان اذا شئت - الى حيث يحاسبون .
والنقل على الزورق بأجر ولا بد ان يؤدى الميث هذا الاجر الى شارون النوتى . والا امتنع
عن نقله . وتركه معلقاً بين الدنيا والآخرة

حتى الآخرة فيما تصنف هذه الاساطير الاغريقية يلقي فيها ذو المال التيسير ويشقى فيها
الفقير ، فاعرف هذا ولا تنسه

والمال هو الخير والشر والفضيلة والرذيلة ، والشرف والضعف والكرامة والمهانة والقوة
والضعف والقدرة والعجز . ولا تصدق من يقول لك غير ذلك . جرد الدنيا من المال تمنح
كل هذا ، وتترك الحياة باهتة مسيحة لا لون لها ولا طعم ، ولا طاح فيها ولا سعى ، ولا شيء
من المغريات بهما . وقد اضنى الفلاسفة عقولهم فى البحث عن اصل الخير والشر وغير ذلك .
والاصل تحت اعينهم . وهل ثم اصل غير المال ؟؟ ومن كان يرتاب فى ان الامر كذلك ، فما
عليه إلا ان يتصور الدنيا - إذا وسعه ذلك - وقد خلت من المال . فكيف يراها تكون ؟ والى
أى حال يرتد الناس ؟ وعلى اية قاعدة من الاخلاق او سواها تقوم العلاقات بينهما . وعلى انه
لا حاجة لأحد ان يرهق نفسه ويكلفها ان تتصور هذا الذى يكاد يستعصى على الخيال . وبحسب
من شاء ان يفكر فى اية خلة من خلال الخير او الشر فى ارتباط المال بها واثره فيها . فان
التأمل حقيق ان ينتهى به الى الايقان بأن المال - كائنه ما كانت صورته - يوشك ان يكون هو
الذى اتاح للفضائل والرذائل وللخلال الخير والشر فرصة « التسمى » واعانها على البروز بعد ان
هيا لها ان تعرف بأسمائها . ولا شك ان المال لم يخلق فى النفس الانسانية نزعاتها وعواطفها
ولكنه هو الذى اكدها وظهر الكامن فيها . واقام المعالم ورسم الحدود واحوج الانسان
الى النظام والتشريع

وأذكر على سبيل التمثيل ان « ليكرج » المسترع الاسبرطى ، فطن الى فعل المال واثره فى
الحياة وفى عادات الناس ونفوسهم وعلاقاتهم ، فعمد الى الذهب والفضة فنفاها واصر ألا تسك
من هذين المعدنين الساحرين نقود ، وان تتخذ العملة من الحديد وجعل القيم خسيصة . فكانت
القطعة الضخمة التى يعي بحمل ثلاث او اربع منها الرجل القوى ، لا تساوى شيئاً يستحق الذكر .
فكان أن كف الناس عن ادخار المال لان الكوم من هذا الحديد لم يكن يعدل قطعة صغيرة من
الذهب ، وانصرفوا عن البذخ والترف فى معيشتهم ، إذ كان الحديد لا يقتنى ولا هو يشتري شيئاً ،
ولم يبق هناك ما يستحق ان يسرق فبطل التلصص وانقطع السطو وامتنعت الحياة وما الى ذلك
وزال التحاسد لان الغنى والفقر صارا اسمين لا حقيقة لهما ولا فرق بينهما اذا اعتبرت الواقع ،
ووقفت التجارة فى حدود البلاد وما وراها . وعلى القارىء ان يتم الصورة ويلونها اذا وسعه
ان يهتدى الى الوانها

وقد اتخذت النقود وما إليها في أول الأمر وسيلة لتسهيل المبادلة والمقايضة . وما تزال كذلك إلى يومنا هذا . ولكنها صارت تطلب لذاتها وتجمع وتدخر رغبة فيما تفيد من الاقتدار والشعور بالأطمئنان والكرامة والجاه والسطوة . فتسابق الناس إليها وتهالكوا عليها وانقلب غرضها يطلب ويسعى له . وإن كانت قد ظلت مع ذلك وسيلة إلى ما وراءها مما تعين عليه . وهذا التهاك الغنيف على المال واقتنائه هو الذي أظهر السكامن في النفس الإنسانية وكشف عن المستور ودفع به إلى السطح وأطفأه على اللجة ، كالبحر لا ترى منه وهو ساكن غير صفحته المصقولة حتى إذا جاش وأربد قذف بما في جوفه من طيب وخبيث

قالوا : وليس أقوى من المال إلا القدرة على الاستغناء عنه . فمن كره أن يحشد المال ويشد به أزره ويقوى به ساعده فلينفض منه يده . ولما كان المال هو كل ما في الدنيا مما ترضى عنه وتنسخطه ونجله وتحقره وتفرح به وتحزن له ، فنفض اليد منه معناه ومؤداه نفض اليد من الدنيا نفسها . وإذا كان المال قوة فإن أقوى القوة أن تستغنى عن القوة . والزاهد الذي يصفى نفسه ويخفق شهواتها ويقتل أهواءها ويروضها على الاستغناء عن كل ما يطلبه الناس ويسعون له - هذا يخلق من روحه قوة تربي على قوة المال ولا تبالها

قالوا : أما أن تغنى أو تزهد وإلا عشت محتاجا إلى الناس - والناس من تعرف كذلك أو صانئ أبي وأبوه واجدادى إلى آدم

الشاعر

شاعر يطلب السمو على أجنحة	الشعر في سماء الخيال
ويرى المجد في الخلود بما غنى	فغنى به فم الأجيال
صوته من فم الطبيعة ينساب	النسياب الحياة في الاوصال
كيف تغنى أنغامه وهى في الكون	نشيد من لحنه السيل

أحمد رامى

(١) محور الأدب

بقلم الأستاذ مخايل زيممة

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

هو الانسان - عبء العبر وحيرة الخير ، يحى من حيث لا يدري ، ويمضى حيث لا يدري .
يحل هذه الارض رداً من الزمن فيهره جلال ما يرى ويسحره جمال ما يسمع . فوقه نجوم
لا تعد . وحوله فضاء لا يحيد ، وخلفه وأمامه حياة ترتدى كل لحظة برداء . فصول تعقب
فصولاً ، وأجيال تلحق بأجيال . نهار تبتليه ظلمة . وظلمة يمحوها نهار . ولادة وموت ، وموت
وولادة . وبين الولادة والموت أشواق لا تنطفىء حتى تلتهم . وآلام لا تسكن حتى تهيج .
وسعادة لا تورق حتى تنوى . وعطش لا يرتوى حتى يعود . وجوع لا يطعم حتى يشور .
هو الانسان - أحجية الاحاجي . منذ راودت نفسه اليقظة حتى اليوم وهو في صراع مستتب
مع الطبيعة . لا يصرعها مرة حتى تصرعه الف مرة . ولا يتغلب على عشرة من عثراتها حتى تقيم
في سبيله الف عشرة وعشرة . ولا يرفع الغطاء عن سر من أسرارها حتى تباغته بالف سر وسر .
فهى غالبية أبدأ وهو مغلوب . ومن الغريب انه ، مع ضعفه الواضح وجبروتها الظاهر ، لا يزال
يصارعها . فلا هو ينثنى ولا هى ترحم . ولا هو يقر لها بالغلبة ولا هى تسحقه فتستريح
منه وترىحه

فما السر في حرب هذا « الحيوان المستحدث » مع كون ، ما هو بالنسبة اليها إلا حشرة
صغيرة ؟ تصرعه الحياة فلا يلبث حتى يعود منتصباً على ساقيه متحفزاً للوثوب . تجرعه من المرارة
ألواناً فلا ينتقم عليها ولا يتركها الا قسر ارادته . وتنزل به من المصائب أشكالا فيتحملها بثبات
وصبر . وتقيم في وجهه من العقبات جبلاً فلا تثنيه عن سيره ولا تثبط عزيمته
ان « حيواناً » يثبت في جهاده مع السكون مثل هذا الثبات لحيوان وإيم الحق غريب عجيب !
فما السر في هذا الثبات ؟

أوليس السر في ان لهذا الحيوان « المستحدث » سلاحاً لا تحطمه العناصر ولا يفله الموت ؟
وعل ذلك السلاح الاقوى كامن في هي أشد وأمتن وأبقى من قواه الحيوانية ؟
تلك قوى الروح غير الفانية . تلك القوى التي ترفعنا فوق الحيوانية ، وترينا في دياجير الحياة

(١) اخترناها له من كتاب (الغربال) وقد وضعت مقدمة لمجموعة الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١

وميض أنوار تحجب إلينا الحياة وتذكر في داخلنا شرارة أمل بان لا بد أن ندرك يوماً ما
ما نحن طالبون . أى . هى قوى الروح تسيرنا على غير معرفة منا ونشعر بها لكن لا ندركها بعد .
لذلك نبحث عنها حتى اذا ما وجدناها وجدنا أنفسنا فعرفنا اذ ذاك منزلتنا من الكون وسرنا
معه لا ضده لنتم به ويتم بنا

أجل . اننا فى كل ما نفعل وكل ما نقول وكل ما نكتب انما نفتش عن أنفسنا . فان قشنا
عن الله فلنجد أنفسنا فى الله . وان سعينا وراء الجمال فانما نسعى وراء أنفسنا فى الجمال . وان طلبنا
الفضيلة فلا نطلب الا أنفسنا فى الفضيلة . وان بحثنا عن مكروب فلا نبحت الا عن أنفسنا فى
المكروب . وان اكتشفنا سراً من أسرار الطبيعة فما نحن الا مكتشفون سراً من أسرارنا .
فكل ما يأتى الانسان انما يدور حول محور واحد هو الانسان . حول هذا المحور تدور
علومه وفلسفته وصناعته وتجارته وفنونه . وحول هذا المحور تدور آدابه . فهو فى كلها يسعى
وراء أمر واحد . وهو أن يظهر نفسه لنفسه على يدرك القوى التى تسير به فى بحر الوجود
ولا قيمة لعمل يأتى الا بمقدار ما يدنيه ذاك العمل من معرفة نفسه أو يقصيه عنها . وسواء
أدرك الانسان ذلك أم لم يدركه فهو أبدأ يقيس كل ما يأتى بهذا المقياس . فيهمل منها ما لا يزيده
بنفسه معرفة . ويحفظ بما يشاهد فيه مظهراً من مظاهر نفسه . وما تاريخ المدنية لو فحصنا الا
تاريخ هذه الغربة الدائمة والمقابلة بين الامور وانتقاء ما فيه أثر روحى جليل واهمال ما ليس
فيه من أثر يذكر

ان على سطح الارض ملايين من البنيات التى شادتها يد الانسان من قديمة وحديثة . لكن
الآثار الهندسية التى تقر بها العين وتنتعش بها الروح لا تعد بالملايين ولا بالالوف . وفى العالم
جبال من الرسوم والتماثيل . لكن الرسوم والتماثيل التى نقف أمامها بخشوع ودهشة تعد على
الاصابع . وفى مكاتب العالم قناطير مقنطرة من الآثار الكتابية . فيكم هى السكتب التى ما تزال
تقصدها البشرية لترشف المعرفة والحكمة من سطورها ؟

قد يخطئ الانسان اليوم فى حكمه على أثر من الآثار . فيستكبر الصغير ويستصغر الكبير .
قد يخطئ جيلاً ، لكنه لا يخطئ دهرًا . فالأثر الخالد لا يموت . والميت لا يعيش . ولا يخلد
من الآثار الا ما كان فيه بعض الروح الخالدة

بين كل المسارح التى تتقلب عليها مشاهد الحياة ليس كالادب مسرحاً يظهر عليه الانسان
بكل مظاهره الروحية والجسدية . ففي الادب يرى نفسه ممثلاً ومشاهداً فى وقت واحد . هنالك
يشاهد نفسه من الاقطار حتى الا كفان . وهنالك يمثل أدواره المتلونة بلون الساعات والايام .
وهنالك يسمع نبضات قلبه فى نبضات قلب سواه ويلبس أشواق روحه فى أشواق روح غيره .
ويشعر بأرجاع جسمه فى أوجاع جسم انسان مثله . هناك تتخذ عواطفه الصماء لساناً من عواطف

الشاعر وتلبس أفكاره رداء من نسيج أفكار الكاتب . فيرى من نفسه ما كان خفياً عنه وينطق بما كان لسانه عيا عن النطق به فيقترب من نفسه ويقترب من العالم . فرب قصيدة أثارت فيه عاصفة من العواطف ، أو مقالة تفجرت لها في نفسه ينابيع من القوى الكامنة ، أو كلمة رفعت عن عينيه نقاباً كثيفاً . أو رواية قلبت إلهامه الى ايمان وبأسه الى رجاء وخموله الى عزيمته ورذيلته الى فضيلة . تلك مزية قد خص بها الادب . وتلك هي مملكة الادب لا ينازعها عليها منازع . وما سلطان الادب الا في انه أبدأ يحول في أقطار النفس باحثاً عن مسالكها مستظلاً آثارها مستفسراً أسرارها . وما شرف الاديب الا انه أبدأ يشاطر العالم اكتشافاته في عوالم نفسه حتى اذا ما وجد آخر بعضاً من نفسه في تلك الاكتشافات كان ذلك للاديب اطيب تعزية واكبر ثواب

إذن . فالادب الذي هو أدب ليس الا رسولا بين نفس الكاتب ونفس سواه . والاديب الذي يستحق ان يدعى أديباً هو من يزود رسوله من قلبه ولبه
ان « الرابطة القلمية » ما كانت لتقدم هذه المجموعة الى قراء العربية لولا اعتقادها بأنها قد اتخذت من الادب رسولا لا معرضاً للازياء اللغوية والبهرجة العروضية . وقد تكون غخطئة فيما تعتقد . لكن اخلاصها في الاقل يشفع بخطئها . فهي لا تدعى لهذه المجموعة اكثر مما تستحق . فان لم يكن لها الا تشويق بعض الارواح الناشئة الى طرق الادب عن سبيل النفس لا عن سبيل المعجزات فحسبها ثواباً . ففقد كفافنا ما عندنا من المعجزات اللغوية وآن لنا ان نتعطف ولو بالتفاتة على ذاك « الحيوان المستحدث » الذي كان ولا يزال سر الاسرار ولغز الالغاز ، لعلنا نجد فيه ما هو احرى بالنظر والدرس من رأس السمكة في قولهم : « اكلت السمكة حتى رأسها »

هجامة اللثيم

في الناس ان فتشستهم من لا يعرك أو تذله
فاترك هجامة اللثيم هم ، فان فيها العجز كله
ابو فراس

الفقر والسقام

من قصيدة لولستان معروف الرصافي

أى مضميَّ يمدّها باكتئاب أنة تنزل الحشا في التهاب
يتشكى والليل وحف الالهاب ضمن بيت جنا على الاعتقاب
صفعته فمال كف الخراب

تسمع الاذن منه صوتاً حزيناً راجفاً في حشا الظلام كميناً
يملاّ الليل بالدعاء انيناً رب كن لى على الحياة مميناً
رب إن الحياة اصل عذابي

وجعٌ في مفاصلي دقّ عظمي ودهاني ولم يرقّ لعمدي
عاقني عن تكسبي قوت يومى رب فارحم فقري بصحة جسمي
إن فقري اشد من اوصابي

يا طبيباً وابن مني الطبيب حال دون الطبيب فقر عصيب
لا اصاب الفقير داء مصيب إن سقم الفقير شيء عجيب
بطلت فيه حكمة الاسباب

رجل معسرٌ يسمى بشيرا كان يسعى طول النهار اجيرا
كاسباً قوته زهيدا يسيرا مالسكا في المعاش قلباً شكورا
راجياً في المعاد حسن المآب

عال اختاً حكمته خلقاً نزيهاً عانساً جاوز الزواج سنيها
لزمت بيت امها وابيها مع أخيها تعيش عند أخيها
مثله في طعامه والشراب

كل يوم له ذهاب ومآتى في معاش من كده يتأنى

هكذا دأبه مصيفاً ومشقى فاعتراه داء المفاصل حتى
عاقه عن تميش واكتساب

بينما كان في قواه صيحجاً ساعياً في ارتزاقه مستميجاً
إذ عراه الضنى فعاد طليحاً ورمته يد السقام طريحاً
جسمه من سقامه في اضطراب

بات يبكي إذا له الليل آوى بعيون من السهاد نشاوى
قترى وهو بالبكا يتداوى قطرات من عينه تهاوى
كشهاب ينقض إثر شهاب

إن سقمًا به وعدماً ألما تركاه يذوب يوماً فيوماً
فهو حيناً يشكو إلى السقم عدماً وهو يشكو حيناً إلى العدم سقمًا
باكياً من كليهما بانتحاب

ظل يشكو للاخت ضعفاً وعجزاً إذ تعزیه وهو لا يتعزى
أيها الاخت عز صبرى عزا إن للداء في المفاصل وخزا
مثل طعن القنا ووخز الحراب

قد تمادى به السقام وطالا وتراوى له الشفاء محالا
اذ قلاباً من السقام استحالاً كان هيناً فصار داء عضالاً
ناشياً في الفؤاد كالنشاب

ظل ملقى وأعوزته المطاعم موثقاً من سقامه بالاداهم
منقفاً عند ذاك بعض دراهم ربحتها من غزلها الاخت فاطم
قبل أن يبتلى بهذا المصاب

قال والاخت أخبرته بأن قد كربت عندها الدراهم تنفذ
أخبرى السقم عله يتبعد أيها السقم خل عيشي المنكد
لا تعقني في عيشي عن طلاي

رام خبزاً والجوع أذكى الاوارا في حشاه فملته انتظارا
ثم جاءت بالماء تبدي اعتذارا وهل الماء وهو يطفىء نارا
يطفىء الجوع ذا كيا في التهاب

خرجت فاطم الى جارتها وهي تدرى الدموع من مقلتيها
فأبانت برقة حالتها من سقام ومن سعار لديها
وشكت بعد ذا خلوا الوطاب

فانشنت وهي بين ذل وعز تحمل التمر في يد فوق خبز
وبأخرى سمنا وبمض أرز منحوها به وذو العرش يجزى
من أعان الفقير حسن الثواب

ليلة تنشر العواصف ذعرا في دجاها حيث السحاب اكفها
ذا هزيم يمج في الاذن وقرا حين تبدي صوالج البرق تدرى
كبر بائية سرت في السحاب

مد فيها ذاك المريض الاكفا في فراش به على الموت أوفى
طرفه كالسها يبين ويخفى حين يغضى طرفا ويفتح طرفا
عاجزاً عن تكلم وخطاب

فدعته والمين تدرى الدموعا اخته ، وهي قلبها قد ريعا
يا أخي أنت ساكت أفجوعا ساكت أنت يا أخي ام هجوعا
فاشفني يا أخي برجع الجواب

قرأت منه انه لا يجيب فتدانت والدمع منها صبيب
ثم أصغت وفي الفؤاد وجيب ثم هابت والموت شيء مهيب
ثم قامت بخشية وارتياب

خطبة الاستاذ فكري أباطة^(١)

في تيانرو الكورسال

شهدت القاهرة أمس في الساعة السادسة مساءً بعد زمن طويل عطلت فيه المنابر حفلة سياسية كبرى لم تشهدها منذ اعوام . فقد احتشد في مسرح الكورسال الحشود الواسع الارجاء مالا يقل عن أربعة آلاف مستمع وكان الخطيب هو الاستاذ فكري أباطة . والمدعاه ان تذاكر الدعوة وزعت بطريقة خفية بارعة لم يتصل خبرها برجال البوليس حتى أصبحوا امام الامر الواقع . وعيشتا حاولوا فض الاجتماع . فان الحماسة كانت جنونية فوق التصور . وكان في مقدمة الحاضرين اصحاب السمو الامير عمر طوسن . والامير عمرو ابراهيم . والامير اسماعيل داود . ودولة عدلى يكن باشا . ومحمد محمود باشا . واقطاب الوفد والاحرار والحزب الوطني . والسيدة الجليلة هدى هانم شعراوي . وشريفة هانم رياض . وغيرهما من السيدات زعيمات النهضة النسوية . وهذا هو نص الخطاب الجامع :

سيداتي . سادتي :

الله اكبر ! الله اكبر ! والله الحمد

اهتفوا من صميم الفؤاد هتافا يزحف زحف العاصفة على « لاطوغلى » اهتفوا صائحين ...
لتحي الحرية !! (هتاف وتصفيق حاد متواصل)

التقينا أخيراً أيها السادة بعد طول الفراق حول المنبر المقدس . منبر الخطابة العامر بروح الله ، وأمر الله ، ولو طال الامد ! (تصفيق)

حذار حذار أن تستمروا مندفعين وراء قلوبكم . متفزين بفعل عواطفكم . متحمسين بعد سجن اللسان ، واغلاق الاذان ، واقفال البيان ، والغاء الاذهان
أخشى أن يكشف التصفيق نجماً الحرية . فيقتحم الكونستبلات الابواب
(أصوات لا . لا . ليكن ما يكون . .)

حسنًا . سيداتي وسادتي : احرسوا الابواب بالقلوب . فلن تقوى عليها العصي ولن يقوى عليها الطوب ...

خبروني . خبروني : بأى حق في شريعة الدين . وشريعة القانون . وشريعة العدل والانصاف

(١) احسن ما كتبت من ناحية واحدة ، هي تصوير الخيال في صورة حقيقية جازت على الكثيرين وعلى المثقفين بنوع خاص . فظنوا انه حدث بالفعل اجتماع خطير في ملهى « الكورسال » مع ان الحكومة اذ ذاك كانت تمنع كل اجتماع فضلاً عن ان « الكورسال » كان حينئذ قد هدم ولم يخلف الا الانقاض ...

والمساواة . يخطب دولة « صدقي باشا » الف خطبة وتحرم المعارضة من خطبة ؟
خبروني . خبروني : بأى حق يحول دولته ويصول . ويلف ويدور . ويكرم ويعظم . ويامر
« الراديو » بنقل الكلام الى بورسعيد وأسوان وبناها وقنا . ويحرمنا نحن حتى أمس - من مجرد
الهمس !! (ضحك وتصفيق طويل)

خبروني . خبروني : بأى حق يظل الناس ما يقرب من ثلاثة أعوام يسمعون (المواويل)
(المتولوجات) و (الضفاديق) من « مطرب » واحد . ومن « تحت » واحد . ومن « مؤلف »
واحد . والناس فى ذوق السماع مختلفو المشارب ، متباينو الامزجة . والسماع لذة تمتزج بالمشاعر
والعواطف وبحرية الاختيار ! وكيف يشنف الأذان - ويملاً الأذهان - وزيل الاشجان : مطرب
بيننا وبينه هوة - و « يغنى بالقوة » !! (ضحك وهتاف متواصل)

صدق محمد عثمان أو عبده الحمولى اذ غنى وقال :

عشنا وشقنا سنين ومين عاش يشوف العجب !

(أصوات : الله ! الله ! . كان كان . . .)

سيدتى . سادتى . . .

(هنا يشرب الخطيب كوب ماء فيهتف السامعون : بالهنا والشفاء . .)
أشكركم سادتى وأعتذر اليكم من كثرة شرب الماء . انى متعطش الى ماء النيل هذه الايام فانى
أشعر أن النيل بفضل خزان جبل الاولياء ومشروع بحيرة تسانا سيجف وينضب ! . . .
(تصفيق حاد وهتاف : النيل لنا !)

أخشى سادتى اذا استمر الحال على هذا المتوال أن تموت من الجوع - وأن تموت من العطش !
ولكن « الله » سبحانه وتعالى لن يرضى بهذا و « رسل الله » صلى الله عليهم وسلم لن يرضوا
بهذا . وان رضى به « أولو الامر » منكم !! (تصفيق طويل)
سيدتى وسادتى . . .

راجت فى البلد إشاعة جبارة منذ شهر واحد بان « قصر الدوبارة » و « لاطوغلى » قد وضعا
مسودة المعاهدة . ثم قيل لنا انهم « بيضوها » (ضحك وهتاف عال . . .)

. . . ثم قيل لنا انهم « بيضوها » واستحضروا من الخارج « قلم لوكارنو » فقبض عليه السير
رمى لورين ووضع على اليمين حرف « الباء » : ثم قبض على القلم دولة صدقى باشا ووضع على
اليسار حرف « الصاد » ..

صحيح هذا سيداتى وسادتى . ولكن بارك الله فى « عبد العزيز باشا فهمى » وبارك الله فى
زملاء « عبد العزيز باشا فهمى » فقد شطبوا « بقلمهم الاحمر » العادل حرفى « الباء » و « الصاد »
و « نقضوا » بحكمهم معاهدة الاستقلال والاستعباد !!

(تصفيق حاد متواصل استمر خمس دقائق)

فشلت المعاهدة « بالجملة » فهم يتعاهدون اليوم « بالقطاعي » ... وسمر « القطاعي » أيها السادة
كسر السمن ، والسكر ، والصابون ، والرز ، أغلى على مصر وعلى أبناء مصر من سمر « بالجملة » ؟ !
ولكنني أصرح من فوق هذا المنبر واهيب بسير برسي لورين صائحا : حذار حذار من بطلان
الصفقة . راجع جيدا توكيل المتماقدين وابحث في القوانين - « عقود الفضوليين » ! . .

(تصفيق وهتاف)

سيداتي وسادتي :

ان ثقتنا في القضاء ثقة عظيمة . وابشركم بأنني قدمت « للمجلس الحسبي » طلبا بتوقيع « الحجر »
على الحكومة ، وقد حدد رئيس المجلس جلسة قريبة هي على كل حال قبل نظر الميزانية . وثقتي
عظيمة بأنني سأرج الدعوى . بقي عليكم أن توافقوني في اختيار « القيم » ومن يكون الأجدر بتولي
القوامه ، ودفع انكارته ، واصلاح المحتل والمعتل ، وانقاذ حالتنا المالية

سيداتي وسادتي :

كل شيء يسير وفق المرام في هذا الشهر المبارك المسكرم . وقد استجاب الله على ما أظن دعاء
الصائمين المصلين المزيكين الطاهرين . بقي امر واحد ينقص عليكم وعلى عيشي وعيشكم - بقي
امر واحد ان يغفره لكم خالفكم وبارئكم - بقي امر واحد سيكون عار الاجيال القادمة ولطخة
الحيل الخاضر - بقي امر واحد يكسر العين ويكسر الخاطر : بقي هذا الشقاق المتسرب الى صفوف
الامة . بقي الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس . بقي الخلاف الذي ينشب في المعسكر
وتشتعل ناره في المعتقل - بقي « الشروع في الانتحار » لغير سبب ولغير موجب - بقيت « الهزيمة »
التي تسبق المعركة الفاصلة . ان « العيد » على الابواب فما انبلها وما اجلها فرصة تنتهزونها للوئام
وللسلام . ان الوطن يناديكم متوسلا بأرق الاصوات ، وأحسن الرجاء ، فان ليتم نداه ، واجتم
رجاءه ، عرفكم في وقت الشدة رجالا وابطالا . وان وليتم للوطن ظهوركم ، وتماديتم في خلافكم
حلت عليكم لعنته - واصابتكم جميعا نقمته !!

ها . ها . وبادروا اليه قبل أن يحمل « الدخيل » نعشه ، ويواريه رمسه ، فيسجل التاريخ
انكم قاتلوه ...

ان « مصر » تحتضر والدواء في أيدي الابناء فمن منكم يد يده ؟ !

إيه ايتها « الرجولة » اني ابحت عنك فهل تظهرين ؟ ...

ان « مصر » في الانتظار !!!

شبابنا في المجتمع (١)

بقلم الاستاذ محمود أبو العيون

ان الحروب والثورات التي هي أصل من أصول التخريب في العالم، كما قد تكون مصدر نكبة لأمة من الأمم، قد تكون لآخرى مصدر خير وبركة، فنقرأ تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر ذلك واضحاً كل الوضوح. وهذه الحرب العالمية الكبرى أحييت عالماً جديداً لم يكن مذكوراً في التاريخ، وأماتت أقواماً آخرين، ومصر مثلاً، كانت ثورتها العسكرية سنة ١٨٨٢ نكبة لها من أعظم النكبات في تاريخ الأمم، نكبة قلبت أوضاعها، وغيّرت نظام حياتها الذي أقامه منقذ مصر العظيم محمد علي. وكانت بركة وخيراً لأمة أخرى. وجاءت بعدها ثورة الشعب سنة ١٩١٩ ونتائجها من الناحية السياسية يقدرها دهاقين السياسة، أما هذا الكاتب فانه لا يشاك في أن نتائجها من النواحي الأخرى المختلفة كانت من أكبر الشرور والويلات على مصر. فالناحية الدينية والناحية الخلقية والناحية الاجتماعية قد تصدعت، وعصفت بها العواصف والارزاء. فما كنا نراه من الصفات الحميدة، والآثار الحميدة من تلك النواحي، أصبحت الآن لا يحلمها الناس فيما بينهم محل الاستحسان، ولا ينظرون إليها بعين القبول بل قابلوها بما شاموا من الاغفال والاهمال

« ان الفضائل والاخلاق والآثار الأدبية لا تتأثر بالظروف، ولا حكم للحوادث عليها، فهي ثابتة، ولكن تقديرها، ووضعها في منزلتها الملائمة لشرفها، والوقوف بها عند حدها، كل ذلك يختلف باختلاف الاغراض التي تولد في النفوس، والاختلاف في الاحكام، وعدم الانصاف في التقدير، فالنفوس قبل هذا العهد كانت بعيدة عن الاغراض والهوى، فكانت احكام الدين والاخلاق، وقواعد الاجتماع التي تواضعت عليها الأمة تدرك مقبولة معتدلة. أما الآن فقد غشى الناس ما غشيتهم من طغيان المدنية، وسحرهم من بهرجتها الزائفة ما جعلهم في فتنه وضلالة، فانقلبوا ساخرين بكل كمال ذاتي، وشرف معنوي

ان الناس بما أصابهم من الشكوك والريب فقدوا الثقة في كل شيء حتى في أنفسهم وأصبحوا يقفون بازاء ضرورات الحياة موقفاً حرجاً. جعلهم من بعضهم في شبه عزلة، لا يكاد يلوى

(١) اخترناها لفضيلته من ضمن عشر مقالات كتبت هذا العام في صحيفة الاهرام تحت عنوان : « يا ضيعة الاخلاق في عهد الحرية »

أحدهم على أخيه الا لمصلحة مشتركة ، ولقد تحدث صديقاً لك في عمل انساني ، أو تطلب اليه إقامة حق مهضوم ، فيرفع جراميزه ، ولا تسكاد تقع له على ظل

الشباب المصري الذي كان زينة الشباب ومفخرة الاجيال ، والذي تقهجم الثورة افتداء لعزة الوطن من الضيم ، وشرف الحرية من الاذلال ، والذي استعذب الآلام في سبيل العقيدة ، وضرب المثل الخالد للتضحية ، والثقة بالنفس ، أصبح هذا الشباب نفسه بعد الثورة والحرية أرجوحة في يد الاهواء وعبت الايام ، فقد قداسة العقيدة ، وشرف الحرية وعزة الوطن

ان القحط الخلقي قد أصاب أكثر جماعة الشباب ، فأوهى فيهم الروابط الاجتماعية والشعور بالواجب ، وان الرذائل التي تمكنت من نفوس الكثيرين وانغمسوا في حمايتها جعلتهم كالوحوش الضارية ، بل هم أحق منها بصفة التوحش ، فان كل نوع منها يعيش بسلام وأمان ، ولا سلام ولا أمان بيننا

أصبح الكثير من شبابنا يحدقون الملق والكذب والنفاق ، ويألفون الذلة والهوان ، وأصبحت السكافات والمؤهلات بمقدار ما يئذله الشاب لرئيسه من التخضع والمداينة والرشوة ، الرشوة التي قيل فيها اذا دخلت من الباب ، خرجت الامانة من الطاق . وبعد ان كانت قيمة العاملين ما يحسنونه من الاعمال ، أصبحت قيمتهم بمقدار ما يقدمونه من وسائل الزلفى للرؤساء ولو غير شريفة . وبذلك تعلم سر ايثار هذه « الإمعات » على غيرها من الناهيين ، وسر فقد الامانة والاخلاص في العمل ، وسر انجاز المسائل ذات الاختصاص على يد هؤلاء الاغرار ، وظهور الفضائح والمعرات بسبب ذلك في الدولة ، وسر كثرة الموظفين على قلة الوظائف ، ثم المحاباة أصبحت هي العلة وهي الداء

هذا الشاب الذي كان يخطب على منبر الثورة ويقول : أيها الشيوخ الواهنون الذين عثتم تحت ظل الاستعباد ، وأحنيتهم رهوسكم الى الغاصبين ، وسلمتم البضاعة الى الاعداء ! دعوا الكراسي للشباب فانهم أمناء على تركة الماضي النبل ، ورسل المستقبل الحافل بالحياة والنور هذا الشاب ، وزملاؤه شباب الثورة ، مكنت لهم الايام ، وملكتهم كبريات مناصب الدولة فأصبحوا شراً على المناصب وعلى الاخلاق وعلى الوطن ، وكأنهم بسبب ما نالوه من رئاسة الدنيا وما صاروا اليه من النخوة والكبرياء تمثلوا انهم تحللوا من ذمة الماضي وعهد الحاضر وتسكالف المستقبل ، وتخيلوا ان الحرية هي تحطيم قيود الذمم ورباطات الشرف ، فكانوا أسوأ حالا من العبيد الارقاء ، إلا من عصمه الله تعالى بعزة النفس وشرف الضمير

وانك لا تجد بين زمر الشباب المتعلم الا القليل ، من لا تنازعه نفسه الى فجور ، ولا تفتح له عين لريبة ، ولا ياحقه في ذلك ذم ، ولا تناله وصمة . ولقد نظم كثير من أولئك الشباب

للمآثم والمشايين دوراً ونوادى يختلف اليها الجنسوان ، وفي ساعة يغفل فيها الزمان ، تستباح كرامات وتمتهن أعراض !

ومن ذلك نشأت المشكلات العصرية ، وفيها العظات البالغات لشباب هذا البلد وشوانها . وقد تناول مكاتب المقطم الاسكندري في الاسبوع الماضى ثلاث وقائع وقعت في الثغر ، نذكر واقعة منها ففيها العبرة الكافية :

ذهب نجل اميرة ، وهو معروف بالبدخ والتبذير ، الى ناد يجتمع فيه « أبناء الذوات وبناتهم » لقضاء السهرة والرقص واللهو ، وجلس مع فتاة الى مائدة في النادي ، واذا باجنبي من كبار التجار يصل في تلك اللحظة ويطلب من الشاب ان يخلى المسكان ، لان الفتاة له لا لغيره . واشتد بهما الكلام والليجاج . فانها الشاب باللكم على الاجنبي حتى كاد يرميه على الارض لولا ان تداركه ضابط اجنبي فاشتبك مع الشاب بالملاكمة ، وتدخل البوليس ، وسبق الجميع الى القسم ، وتولت النيابة التحقيق ، أما الضابط فقبل اعتذار الشاب وانسحب من القضية التي أحوالها النيابة الى محكمة الجنج حيث يمثل الوجيهان من أعيان المدينة أمامها بعد ما ثبت للنياية ان الاجنبي لا يتمتع بالامتيازات

وعلم مكاتب المقطم ان أهل الفريقين يسعون للصالح قبل المحاكمة حذراً من العواقب والقليل والقال

ومن البلية ان تجد نفوس أوائك انشباب قد مرضت مرضاً خلقياً ، لا أرى علاجه هيناً . فهم لا يرون عيباً في اقتراف أى شائنة تكون بعيدة عن العمل الرسمي لان تلك في نظرهم الخاطيء مسائل شخصية لا تسيء الى العمل ولا الى المجتمع في شيء ! وأعجب ان تكون حالهم على ما وصفنا ، ثم يؤمنون في وظائفهم على دائق أو سحتوت . وهمل الذمم تتجزأ ، والضمائر تنقسم ؟

وفقد كثير من الشباب مضاء العزيمة وشجاعة النفس ، والدأب على الصعاب . فقلما يزاول عملاً عظيماً أو يعالج من الامور جسماً ، نخاته الحظ أو استعصت عليه الغاية ، الا تصدع قلبه وطار شعاعاً ، وقعد ملوما محسوراً ، وربما عمد الى الانتحار ! وذلك ضعف خلقى بعيد المدى واقد يضرب المثل للشجاعة ، وقوة النضال والمثابرة ، بالرومى الافاقى يفد الى هذه البلاد معدماً مكدوداً ، فيظل يعالج شؤون الحياة خاسراً ورانجاً وهو ينازل الحوادث ويعارك القدر ، حتى يخرج من المعمعة ظافراً منصوراً

ثم التعاون والتكافل والتعاقد والتضامن أصبحت هذه أسماء لا مسميات لها في المجتمع الذى يمثلها رجال الثورة وشبابها الأمناء ! كانوا كتلة واحدة . لهم غرض واحد . وأمنية واحدة . هي خدمة الوطن من طريق الحرية والاستقلال . فما بالهم تفرقوا طرائق قديماً . وما بالهم أصبحوا

أحزاباً وشيعاً . وما بالهم مزقوا جسم الوطن المسكين . وأعملوا فيه السلاح وأثخنوه بالجراح . وما تلك الشهوة التي ملكت عليهم نفوسهم واستهوت أقدتهم ؟ لقد صرنا الى شر ما تصاب به الأمم من التفكك والانحلال . « فهذا البعض لا يربح الا بخسارة الآخر . وهذا القوي يدوس الضعيف . والضعيف يدوس الاضعف . وكل ميال الى ضرر أخيه . يعتبر الهفوة منه ذنباً عظيماً . والزلة جرمًا كبيراً . وتجاوز ذلك إلى الافراد في المعاملات وفي الوظائف وفي الحالات البيتية . أصبح الرئيس لا يشق بمروسته ، والمهندس لا يأمن رئيسه . وأصبح الأخ لا يأمن أخاه ، والابن يستطيل عمر أبيه ويعنده بالأيام للميراث . وصار الضيف لا يأمن مضيفه ، ولا الصهر صهره . وجعل الزوج يفكر في التخلص من زوجته ، والزوجة تدبر المكيدة لزوجها . والجار يخون جاره . والشريك يغش شريكه » . وما الى ذلك من نقض العهود ، وخلف الوعود والسلب والنهب وتلم الأعراض

ومن الغريب ان الجمهور في هذا البلد يدرك ما وصل اليه من هبوط الأخلاق والانحلال . ويتخوف سوء المنقلب . وما من عاقل تقابله الا شكاك اليك سوء الحال وطالع لك ما وراء العواقب . ومع ذلك تجد القوم لا يعملون على تدارك الخطر ورأب الصدع . وذلك لعمرى آية الهزيمة وعلامة الادبار

هذه الآفة الاجتماعية ، وهي القحط الخلقى والتحلل من قيود الأخلاق والفضيلة والدين ، ليست مقصورة على فئة دون فئة . ولا على طبقة دون طبقة بل الكل سواسية في البلية . « وكأن الناس صاح فيهم صاحب الشر فلبوه من كل مكان ، وكأن القوانين والشرائع ضعفت عن معالجة الحالة وعجزت عن صد سيلها الجارف وتيارها المتدفق »

فهل تجد - لا أراك الله مكروهاً - تفككا أكثر من هذا التفكك . وهل تجد ثلثة في بناء المجتمع أوسع من هذه الثلثة . وهل هذا المجتمع يقال فيه مجتمع مريض يرجى له شفاء ؟ أو أنه مجتمع أصيب بالشلل والفناء ؟

وهل تلك الحرية التي أصبناها كانت علينا نعمة سابعة ! أم نقمة شاملة ؟ « الحق أباح والباطل لجلج ! »

في الأخلاق

- نحن لسنا محتاجين لكثير من العلم . ولكننا محتاجون لكثير من الأخلاق الفاضلة
 - كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهي شريعة باطلة
- سعد زغلول

الازهار المداسة^(١)

بقلم الامير مصطفى الشهابي

كنت البارحة أنحدر الى دمشق من داري في سفح (قاسيون) فاسترعى نظري جار يدوس أزهاراً ذابلة ملقاة في الطريق ، منها ورد وخطمي وخشخاش ومرغريتا وغيرها . وتخللها زهرات صغيرات من الفل ، وكلها قد حال لونها وفسدت رائحتها وزالت نضرتها وطاحت بهجتها . فتذكرت على الفور قصيدة مرقصة عنوانها « السجينة » لشاعرنا العربي الأمريكي الرقيق « ايليا ابو ماضي » نشرها في المجلد الخامس والستين من المقتطف ووصف بها زهرة كانت تعيش في الحقل قريرة العين هادئة البال سعيدة بالتراب الغني والهواء النقي والطل الندي ، ونور الشمس ودفئها وتراقص الاغصان على موسيقى الرياح ، وتطير الفراش في النهار وتهاوى النيازك في الليل . فاذا بغاو من غواة الزهر يقطفها مغبطاً بها فيضعها في زهرية ويسجنها في غرفة . فتألم وتنفجج وتستغيث من نظرات الفساق وأنوف النشاق وفجور العشاق . فلا رقص الكواكب في القصر كرقص الفراش في الحقل ، ولا المصابيح المتلائية في الابهاس كنور الجاحب الضعيف في الدجى ، ولا الماء الغزير الذي تسقاه في الزهرية كقطرات الندى في منبتها ، ولا عطر الحسان في عبقة كريج التراب في فغوته . ويشد السجن على تلك الزهرة المسكينة فتصغر وتذوى وهي في شرخ شبابه والفصل ربيع والهواء عليل ، حتى اذا ذهب روائها وعز شفاؤها طرحت خارج الدار فديست بالنعال

نظرت الى الجار يظاً تلك الازهار دون أن يتعذر أو يتخضع ، فدنوت منه وبدأت الحديث بتلك القصيدة العصماء ثم قلت : تدري يا صاح أن الازهار الجميلة النادرة نباتات يظل الزهارون يتعاهدونها سنين عديدة بالتغليل تارة والتيجين أخرى ، ثم بالانتخاب والاصطفاء حتى تجيء كما يريدون من حيث تلوينها وتزيينها وتبريقها ، وأنهم بعد هذا يبيعون النبتة الواحدة من الصنف الجديد بعشرات من الجنيهات ؟ وهل علمت أنتى قبل بضعة أيام بينما كنت عازماً على زيارة أسرة من الاسر لاح لى ألا أدخل الدار فارغ اليدين فصرت الى زهار فوالله ماضى أن يبيعني باقة حقيرة يحملها الطفل فلا تنقله بأقل من ليرة سورية والناس في ضيق والازمة مستحكمة الحلقات تشد على أعناق الناس وتمنع الكسرة من الرغبة عن حلوقهم ؟ وإذا استسلمت الليرة السورية فسل سهل بن هرون عنها يجيبك بمثل ما أجاب الرجل الذي استعطاه درهماً وهو قوله : « لقد هونت الدرهم وهو

(١) اخترناها له . . .

طائع الله في أرضه لا يعصى وهو عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الألف والألف دية المسلم . ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذي هو قوته . وهل بيوت الأموال الا درهم على درهم . . . »
لقد عبد بعض المصريين الاقدمين اللوطس وتوهوا أن الآله (رع) ولد من زهرته . وقد سوا الجيزة وتحيلوا (هاتور) تخرج من بين أوراقها لتجمل الناس من الخالدين . وسمى العلماء بعض الازهار باسم آلهة اليونان والرومان . واتخذ الناس كثيراً من أنواع الزهر علامات يدل كل منها على ضرب من النعمت والصفات المستحبة المستلحة . فالبنفسج للحشمة والورد للجمال وهكذا . وشبه الشعراء أعضاء الحبيب بصنوف الزهر فجعلوا الحدود كالورد والحفظ كالنرجس والشفة كالشقائق . أما بعض الهواة من الشعوب والملوك فقد خص كل منهم نفسه بزهرة أو بنبته فكانت شعاراً له ودليلاً عليه كالخلة شعار العرب ، والاقيحوان والسكاميليا شعار اليابان تراها على نقودها وطوابعها ، كما ترى زهرة الآلام والزهرة الخالدة وعود الصليب على طوابع الصين . ولكم حفر النقاشون زهرة الزنبق على الأسلحة القديمة ، واعتز الانكليز بالوردة والارنديون بالطرفيل واسبان غرناطة بالرمح وجمهورية البرتغال بالبرتقال

ولما رأيت الجار ساكتاً يصفى الى حديثي الطويل الممل استرسلت فيه قائلاً : —
هلا أنعمت نظرك في أوراق هذه النباتات التي تدوسها بنعالك وأدركت أشكالها العجيبة من بيضية وسنانية وسهمية ومستطيلة واهليجية وكاملة ومفرضة الى عشرات من الصفات المختلفة ؟ وهذه الزهرات التي تمر بها بحذائك ، هلا علمت أنها أجل الأشياء على هذه الكرة وأنقاهها وأحبها الى قلب الانسان بألوانها الزاهية الانيقة وأشكالها المنتظمة الرشيقة وطرق ازهارها المتفاوتة ؟ وهل جال في خلدك أن تدخل قبة الصخرة في القدس أو المسجد الاموي في دمشق فتري تراويق الزهر وتعاريج الورق في زخرف عربي أخاذ ، ما يرح ولن يبرح بهجة العين ودهشة التأمل منذما صبغته اليد الصناع أيام كان الامويون ملوك الارض وسادة هذه الدنيا ؟ ثم هل عرجت على تدمر أو بعلبك فرأيت الازاهير كيف تنقش في الصخر الاصم لشغف الناس بها ! أو جزت الصاحلية على الفرات أو أقامية على مقربة من العاصي فالقيت بنظرة على تلك النباتات المزهرة التي ككونوها من دقائق أحجار الفسيفساء ! ولكم نقش المصريون الاقدمون زهرة اللوطس وورقتها على هياكلهم وآيتهم ونقودهم وحليهم . وكم سحرت أوراق الاقيحوان فناني اليونان والرومان فأوجدوها على أعمدة قصورهم وهياكلهم . ولم يكتف الاورييون في القرون الوسطى بهذا النبات بل نقشوا على جدران الكنائس زهر النيلوفر والسوسن والبنفسج وغيرها

ومالنا والناس نبحث عن حبهم للزهر في الحقب الخوالي ؟ افلسنا نرى في أيامنا هذه رجلاً متأنقاً لكل منهم زهرة خاصة به لا تفارق معطفه البتة ؟ ونرى كواعب من فواتن النساء لا يستقبلن في منازلهن إلا الزهر في شعورهن أو في نحورهن أو على أكتافهن حتى على خصورهن ؟ والله در

الذى قال : إن الزهر يتبعنا من المهد الى اللحد . فاذا ولدت استقبلوك بالزهر واذا خضت كملوك بالزهر
واذا عيذت أهدوا اليك الزهر واذا أعزست غمروك بالزهر واذا انتقلت الى جوار ربك بعد عمر
طويل حملوا الزهر أمام نعشك وفرشوا به قبرك أو نثروا عليه ثراً . وأى دار كبيرة تخلو من
حديقة للازهار يتولاها بستاني لبق ؟ وهل بهجة الدار غير ازهارها الفتانة ؟ ومهما حقرت الدار
وكان صاحبها من ذوى الفقر والخصاصة فهي لا تخلو من زهرة فى حوض أو فى أصيص يسم لها
صاحب الدار كلما مر من أمامها وشاهد كاسها السندسية وتويجها النضر وأسديتها المتواثبة ومدقتها
المغمورة بمباهج الحياة . ورب بيت حقير فى المزرعة الصغيرة عرشوا على جدرانها الياسمين أو الورد
أو زهرة الآلام أو اللبلاب أو الظيان أو أشباهها فكستها بأغصانها المتشابكة وأوراقها الخضلة
وأزهارها الفتانة حتى صيرت البيت أروع فى العين من جلال القصر المنيف . ثم لا بد لى أن أحدثك
عن انزهارين وفنهم فى إيجاد الزهر المبكار والزهر المتخار . وعن أسواق الزهر فى حواضر البلاد
وعن بائعات الزهر ومنهن الجميلات المغربيات اللواتى تكاد تفضلهن على ما يبعنه . وعن أعياد الزهر
وكيف تنتهك فيها حرمة هذه المخلوقات الملائكية ليلهو ابن آدم بشقاها . وعما يستعمل من الازهار
فى عيد الفطر وعيد الاضحى وعيد الشعانين وغيرها من الاعياد . وكل هذا يحتاج الى وقت طويل
وانما نحن ننحدر الى دمشق وجارى الذى قصصت عليه هذا الحديث ساكت لم تتحرك له شفة . ولما
هممت بالمودة إلى تنيفه على وطنه للازهار الملقاة فى الطريق ما كان منه إلا أن قدم الى زهرة من
الفل كانت فى يده وقال : « تمتع برائحتها اليوم وأعدها إلى غدا » ثم انصرف ما يبدى . وما يعيد .
فلما كان الغد قرع على باب الدار باكراً وقال : « أين الفلة » فقلت : « ذلت فألقيتها » قال : « ووطئها
أيضاً أو ووطئها غيرك دون أن يتخرج أو يتأثم . فاعلم يا صاح أن هذا هو مصير كل حى فى هذه الدار
الفانية وإن كل ما تحدثت الى به البارحة عن قداسة الزهر ولزوم رعايته كلام اجوف لا طائل فيه .
فالزهرة لها عمر محدود متى استوفته عادت الى التراب فاندمجت به فاغتذت بها زهرة ثانية الى أن
تهرم هذه فتموت فيكون مصيرها مصير الاولى وهكذا . فأما والازهار بالغة أجلها سواء أ كانت
فى الحقل أم فى غرفتك أم على رأس غادة حسناء فن البسالة بمكان ألا تمتع بها على الشكل
الاثم . وما برح الضعيف مسخراً للقوى والحياة عراك بين الاحياء مستديم . ولو ان الانسان اقتصر
على الاضرار بالازهار وعف عن ايداء ابنائه جنسه لسكان الخطب أهون والبلاء أيسر . ولكن
هيهات . . . »

يشم ندامى الرياحين بينهم وذكرك ريحاني اذا دارت الكاس
ولو كان يلقى الناس من لاعج الهوى عشير الذى ألقى اذن هلك الناس
العباس بن الاحنف

ابراهيم لنكولن

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي

لا نستطيع أن نزعم بحق أنه في مكننا إيفاء حق « ابراهيم لنكولن » من البحث والتحليل في موجز تاريخي كالذي نحاول كتابته عنه في هذه الصفحات القليلة . ومن الحق علينا أن نعترف بأدى ذى بدى - احتراماً للتاريخ والعلم ، واحتراماً للبطل الذى نكتب عنه ، ولأنفسنا - بعجزنا عن استيعاب حياة ذلك الرجل العظيم ، والمفكر الكبير ، والمصلح الجريء ، الذى تملأ القلوب والانظار والأسماع هبة وروعه وجلالا . ذلك لأن حياة العظيم عظيمة مثله : فما هى لعمركم إلا سلسلة متصلة الحلقات متعددة الوجاهات ، مترعة بأجل الدروس وأمتع العظات ، وليس الى حصرها من سبيل ، وليس دون الانتفاع بسنتها ، والاهتداء بسنى ضوئها ، من حد ولا نهاية . وإنما قصارى ما نرمي اليه ونرجوه لشبابنا ، وفلذات أكيادنا ، وعدة آملنا في مستقبلنا ، أن يلهوا معنا إمامة متواضعة ، بصاحب هذه السيرة المتواضعة ، الذى يكفيه من فخر سرمدى ، ومجد أبدى ، ما أصابه في أخريات جهوده المتواصلة من توطيد عرى الاتحاد بين بلدان أمته ، وتحرير نصف أبناء جلدته ... كلابل تحريره نصف البشرية قاطبة من ربة الرق والاستعباد ، ونير الاجحاف والاستبداد ، الى نور الحرية والاخاء والمساواة ... آملين أن نهتدى جميعاً بهديه ، فنعمل متكاتفين متساندين على ما فيه خدمة الاوطان ومحبة الانسان لأخيه الانسان

ولد بطلنا « لنكولن » الرئيس السادس عشر للجمهورية الأمريكية في ١٢ فبراير سنة ١٨٠٩ ولسنا نحفل كثيراً بأن نقف على سنة ميلاده بقدر حفلنا بتبعه في توقيه ذرى المجد ، ومثابرته الدءوب في خدمة الانسانية ، وبقدر ما نحفل بدرس عوامل عصاميته ، وتفهم صريح سياسته ، والاحتذاء باصاليته ، والاقتداء بكياسته ، وبقدر ما نحفل بأشباع نفوسنا وأرواحنا وقلوبنا من تزيه طعمته ، وبرى وطنيته ، ونبدل طويته ، وبقدر حفلنا أن نكون على غراره وقلبه ، نعيش للوطن ، ومن أجل الوطن وفي سبيل الوطن ، ونحيا للواجب ، ومن أجل الواجب ، وفي سبيل الواجب

لقد نشأ « لنكولن » في حجر العوز والفاقة (يقوده الامل ويسوقه الرجاء ، وبين جنبيه همه

عالية ، ونفس كبيرة . فصهرته يد الزمن القاسية ، اذ ضربه الدهر بضرباته ، ورماه بشكباته ، فكونت من نفسيته النقية ، وسجاياه الرضية ، وقلبه الرهوم ، وسمة أعطائه الحدية الرحيمة ، الرجل العظيم حقاً ، والبطل النزيه السمعة الحسن الاحدوثه ، المتوثب العزيمة ، والمستحصد الهمة . كونت منه جمال الاعباء ، طلاع الثنايا . كونت منه رجلا حلب الدهر أشطره (١) . كونت منه زعيم الشعب ومعلمه ومدرّب الوطن وخادمه . وكونت منه حاكم الامة في غير صلف ولا اغترار ، ولا جبروت ولا استكبار ، كونت منه أمة في رجل ورجلا في أمة ، وأخيراً كونت منه المعنى الخالد للوطنية الخالدة ، والرمز الصادق للعزيمة الصادقة . كونت منه المبدأ الحق لهذا الخلق ألا وهو « الفناء الشخصي إزاء الصالح القومي » أي شبابنا الناهض :

ليست العظمة الحقّة أن يولد الرجل معاً مخولاً ، ولا هي في عرافة الارومة والتجارب ، وسمة الثروة والعقاز ، ولا هي في أن ينشأ الانسان سرياً يشار الى هيله (٢) وهيامانه ، وطمه ورمه بالبنان (٣) ولا في أن يصيب من غفوة الدهر وغفلته قرن الكلا (٤) ، ولا في أن يستمتع بما في الحياة من همى وحى (٥) . كلا وربكم ! وإنما هي فيما هو أنبل واسمى : انها في الخلق . في الكدح في العمل . ثم هي لعمركم في الايمان بما في أعناقنا جميعاً — مهما تباينت أسناتنا ، واختلفت أعمالنا ، وتفاوتت مراتبنا — من واجبات نحو الوطن وأبناء الوطن أي شبابنا الناهضين :

ليس في الفقر من هنة ولا عاب . إنما الهنة والعاب في أن يكون الرجل عالة على غيره . قعدة جئمة (٦) لا يعنى ما يراد ولا ما يشاء . و « ابراهام لنكولن » لم يقعد به فقر أبيه التجار المزارع المسكين الذي كان يذرع فضاء الارض عساه يجد مزرعة تقيم من أوده وتسعفه بما يسد الرمق . بل كان لآبه (٧) الصغير وهو اسم « ابراهام لنكولن » منذ ميعة شبابه وطراوة إهابه — كان له من عمله المتواصل وجده الدائم هامة الفخار وسمة الاعتبار بين اللدات والاقربان . فلن يقعد بالرجل فقره بل جهده . ولن يسمو به جاهه أو ماله . وإنما تسمو به مواهبه وكفائته وفعاله

ولنتقل الآن أبناءنا الاعزام الى مسألة أخرى جدية باكبكم ودرسكم ، حرية بانتباهكم وتوثب همكم ، فينة باقبالكم وانعامكم ، الا وهي أثر المرأة الفاضلة في تكوين الرجل الفاضل . وللمرأة الكاملة الاثر الاول في تكوين النزعة الخلقية الاولى . لما لها من اليد الطولى في امداد الوطن بجند الوطن الأصحاء ، وكما الوطن الاقوياء ، ومحركى الوطن الاوفياء

(١) يقال للرجل المجرب للامور : « قد حلب الدهر أشطره » أي قد قاسى الشدائد والرخاء وتقاب في الفقر والغنى (٢) أي المال الكثير (٣) اشارة الى كثرة المال وتنوعه (٤) يقال لمن اصاب مالا وافراً لم يصبه سواء : اصاب فلان قرن الكلا (٥) الهى : الدعاء الى الطعام . والجبى : الدعاء الى الشراب (٦) الجئمة : النؤوم الذي لا يداير (٧) (Abé)

فقد ماتت ام « ابراهيم لنكولن » وهو لم يعد التاسعة من عمره . ماتت ولاطبيب يعالجها ولا قسيس يواسيها . ماتت فممل لنكولن مع والده على تجهيز كفنها ، واعداد الوسائل اللازمة لدفنها تلك صدمة عنيفة لا يقوى على تحملها قلب صبي ناشئ ، مثل « لنكولن » . ولتلك الصدمة بلا ريب آثارها الحسنة إلى جانب أثرها المادي السيئ . فليس من شك أن لنكولن سيتذوق من بعدها معنى الاحتمال والجلد والصبر على المسكاره . وليس من شك أنها ستبذر في قلبه السكيم وفؤاده السكير معنى الرحمة والحنان والبر والاحسان . ومع هذا فان القدر العادل لم يحرم لنكولن من عطف الأم ، وان كان قد حرمه من شخصها . ذلك انه قد حذب عليه قلب زوج أبيه الجديدة التي أتيح لها أن تعيش فيما بعد فترى بعينها آبه (١) الذي علمته صغيراً وعطفت عليه يافهاً . تراه وهو الرئيس الأعلى للجمهورية الأمريكية في المرتين السادسة عشرة والسابعة عشرة تراه رئيساً عادلاً يفرغه على الدوام أن يدعو أمته الى المساواة السياسية العادلة ، لانه يرى في المساواة بقاء الامم وسعادة الافراد . تراه في مركز الحاكم بأمره ، من تغو له الوجوه وتخضع له الرقاب ، فلا يحكم الا حقاً وعدلاً ، ولا يسير بين الرعية تها وعجبا ، بل كان رمز الادب اليانع ، والخلق المتواضع . تراه بين ظهراني جنده في حومة الوغى مواسياً ومشجعاً بلا ازورارجناب ، أو رصد أبواب ، وكثرة حجاب . . كما يفعل غيره من عتاة الولاة الذين يظنون أنهم مخلوقون من طينة غير طينة رعيته ، بل كان لهم نعم الرفيق والزميل . ونعم الممين والظهير ، ونعم الراعى المسئول عن رعيته أي شبابنا الناهضين :

ان في حب « لنكولن » لزوج أبيه معنى سامياً فلا يعزبن عن أذهانكم . وجدير بكم أن تنعموا فيه طويلاً . لقد ماتت والدته وأراد القدر أن يبنى والده من حليلة أخرى لتعمر بيته وترفقه عنه متاعب الحياة . ولتضيء بنورها جوه القاتم ووكرة الخالك . فلماذا يمتقتها ويعمل على إبدائها ؟ إنها زوج أبيه فهي صنو والدته وبديلتها فلم لا يشب على حبها والتعلق بها ، اما ارضاء لعاطفة والده ، أو احتراماً لمركز الامومة المضحية التي هي رمز لها على الدوام ؟

ثم ما ذنب المرأة في ذلك الصنيع وهي أجدر على الدوام بالمعطف والتقدير فاذا كروا معشر الشباب والشابات مركز لنكولن من زوج أبيه ومكانها منه . وانظروا نظرة رثاء لمن ينهج غير منهجها ونظرة مقت وكره لتلك الحوادث الاجرامية التي تقع الفينة بعد الفينة في مثل ذلك الموقف الذي هو أخلق بالحنان والرعاية ، وأولى بالبر والعناية

فعليكم بالتسامح والوفاء . وعمرؤا قلوبكم بالاخلاص والولاء ، وكونوا لآبائكم وزوجاتهم أبر الابناء

(١) لا ابراهيم لنكولن لقب Abé اثناء صغره كما اسلفنا

الاسترقاق عند المصريين وفي الاسلام

بقلم سمادة احمد شفيق باشا

لعل لا أستطيع التفضيل بين « أحسن ما كتبه » وبين غيره لأنى - كما تعلمون - لست الكاتب الفنى الذى يعنى بتتبع العبارة وتربيع الأسلوب بأنواع الاستعارات والتشبيهات والمحسنات البديعية ، ولكننى عالجت الكتابة مذ عالجتها لتحمل حقيقة علمية أو تاريخية ، ولتؤدى رأياً عن كى أو حكماً استخلصته من وقائع شهادتها ورويتها أو نحو ذلك

ولئن كان قد تفضل الكاتبان الكيران الأستاذ توفيق دياب والأستاذ جيت فوصفى أولهما باننى رجل جد يدخر للمسائل العملية ، ونعتى الآخر باننى من أساتذة المدرسة الحديثة - على حد تعبيره - فذلك فضلهما أرادا أن يسبغاه مشكورين

وفى الحق أن كل ما كتبه عنيت به أحد أمرين أو الأمرين جميعاً : أولهما عدم وجود نظير فى اللغة العربية ، ثانيهما اظهار ما خفى على كثيرين من أدق المسائل التى كان لها فى تطور حياة مصر السياسية والاجتماعية والعلمية أثر بليغ . وإذا راجعتم كتابى « حوليات مصر السياسية » أو رسالتى « قناة السويس » أو غيرها تبين لكم وجه ما أقول

كما ان كل مطلع على الجزء الاول من « مذكراتى فى نصف قرن » - الذى ظهر اخيراً - يرى أننى كما قلت آنفاً رجل لا يعنى الا ببسط الحقائق لأبسة ثوب الصراحة والصدق ، وان كان نشر مثل هذه المذكرات امراً غير معهود فى الشرق

على أنه اذا كان الابن البكر عادة أعز البنين عند الآباء ، وكانت ذكريات الشباب أبدع ما يهز النفس فان رسالتى « الرق فى الاسلام » - وهى أول نتاجى الفكرى - لها فى نفسى المحل الاول

كتبت هذه الرسالة تحت تأثير فكرة نبيلة انقذت فى نفسى حين ساقتنى الظروف فسمعت محاضرة فى الموضوع من الكردينال لا فيجورى فكان من أثرها تصنيف هذا الكتيب

ولئن كنت قد حررت بالفرنسية فان صديقى العزيز المرحوم الأستاذ احمد زكى (باشا) تفضل فنقله الى العربية وكان ذلك فى عام ١٨٩٤ واليك فقرات منه :

الاسترقاق عند قدماء المصريين

كان الرقيق فى مصر عبارة عن آلة للعمل وكان أيضاً من الاشياء المعدة لمشاهد الزينة ومظاهر

الاهية . فكان الارقاء بقصور الملوك وبيت السكهان ودار المقاتلين . ثم ان الفاقة جعلت لسائر الافراد سبيلا إلى امتلاك الارقاء ايضا . وكان الاسارى على العموم ارقاه للدولة يقومون بالاعمال والأشغال التي تستلزمها حاجات القطر او التي تدعو اليها موجبات زخرفته وتحسين هيئته . وفيما عدا هذه التشديدات الخاصة بالاستخدام في الصالح العام قد تحسنت حالة الرقيق وتلطفت كثيرا ، فكان يجوز رفع الامة إلى مقام الزوجة . ثم ان الاخلاق والعادات كانت تقضى بالشفقة على الرقيق والدفاع عنه . بل ان الشريعة كانت تجعل محوله سياجياقيه من البنى والاذى فقد قضت على أن من قتل الرقيق يقتل به

الرق في الاسلام

قبل الخوض في هذا الموضوع ينبغي لنا أن نأتي بالايجاز وبوجه العموم على ذكر الاسترقاق عند الامم المختلفة فنقول :

الرق هو حرمان الشخص من حريته الطبيعية وصورته ملكا للغير . قالوا ان الاسترقاق ظهر منذ كان الاجتماع الانساني وهو قول في غاية الاصابة والسداد ، فانه ظهر حقيقة عندما وقعت الاجتماعات البشرية الاولى أيام كان حجاب الجهالة مسدولا على عالم الفطرة . والذي أوجب حصول هذا الفعل هو أمر يسهل بسطه وإيراده . وذلك انه لما كان العمل من أصعب الضرورات وأشقها أخذ الانسان في البحث عما يخلصه من عنائه ومكابדתه فاذا بطلبته بين يديه عند الهيئة الاجتماعية ، فان القوى الزم الضعيف بالاستغلال ومن ذلك نشأ الاسترقاق

ثم جاءت الحروب وتولدت الاطماع فبثت الاسترقاق في جميع أجزاء العالم وعند معظم الامم ، وصار الناس لا يقتلون العدو بل يبقون عليه ليعمل لهم . هذا واعلم ان طبيعة الاقليم ، وهي من أقوى العوامل في انحاء الجمعيات البشرية ، كان لها تأثير عظيم في زيادة الاسترقاق واتساع نطاقه ، حتى انه مالبث حتى بلغ عند الامم التي على البساطة والفطرة في جميع بلاد المشرق مبلغا عظيما ودرجة قاصية وانتشارا رائدا ، فان من الرقيق كان زهيدا وعمله مفيدا بالنظر إلى ما صارت اليه الصناعة والتجارة من التقدم والاهمية . ولقد كان الحال على خلاف هذا المنوال عند أمم الشمال فان تغذية الرقيق عندهم كانت تكلفهم نفقة عظيمة ولم يكن لعمله كبير جدوى ولا فائدة . فلهذا كان الاسترقاق في بلاد الشمال منذ العصور الخوالي أقل انتشارا منه في جهات الجنوب من المعمورة . وهذا يدلنا على أن الاسترقاق هو من الامور الاقتصادية التدبيرية المترتبة على العمل والاستغلال . ولنبحث الآن في حالة الرقيق عند الامم المختلفة واحدة واحدة

فقيده الامه العربيه (١)

للشاعر القروي

لحى برغم القبر فليخسأ الردى
ولو كل موت يضمن الخلد سارعت
ولو كل حظ حظ غازى من العلى
بنيت له الملك الذى هو أهله
فكننت أساساً وزخرفت قبة
ورمت في بغداد عرشاً مهتماً
وما أنت إلا السيف أعقب خنجراً
لأن أدب الجبار بالصيغة التي
وصب على رأس السفير صواعقاً
رآه وقد ضلّ الهدى فانتضى له
يمين شريف تقعد الطود قائماً
أذابت قلوب الخائنين وفوّرت
ليرض عليك الله بأسبط أحمد
شفيت بهذا الموقف الحر نفسه
وكم غضب أدنى من الحلم للتقى
وما شأن ملك سامه العبد ذلة
وكم تاج ملك صار نيراً لربه
أيزعم ذو القرنين أنك عبده
تعود منا أن نفرض على القذى

وقد سلم الغازى فلا يهنأ العدا
إليه ملوك الأرض مشيئاً وموحداً
تفأمل بالدينا مهل فانشدا
وأطرفت ما هارون بالامس أتدا
وذهبت آفاقاً وأطلعت فرقدا
وخلفت في الأكباد عرشاً مؤبداً
بلوناه في الجلى فكان المهندا
تداول أسماخ النجوم لها صدى (٢)
نزلن على أكبادنا البرد والندى
يداً قدحت من عينه النور فاهتدى
ولو شامت اليسرى أقامته مقعدا
دماً في عروق الانجليز تجمدا
فانك قد أرضيت جدك أحدا
وزحزحت عن صدر العروبة جملدا
وأهدى الى المجد الرفيع من الهدى
وأبرق صهلوكة عليه وأرعدا !
وكم صولجان عادى العنق مقودا !
ومثلك من يلقى السلاطين أعبدا
فعودته نسيان ما قد تعودا

(١) اخترناها له من قصيدة في ذكرى الملك فيصل

(٢) إشارة الى وقفته الجريئة مع السفير البريطاني في بغداد وقت حادثة

الاشوريين

ليعلم عبيد التاج أنك سيد
 وأن قريشاً أعظم الخلق هيبة
 تخر منيعات الجبال مهابة
 زكا أصله قبل النبي محمد
 بتمكينه عهد من الله خالد
 تشيب الريا قيل إنذار شيبه
 أفيصل إني مرسل فيك شرّاً
 أكلّفها نوحاً فتمضي شوادياً
 كأن حروف الخط أعواد جنة
 وقلدت منها كل شطر مهندا
 إذا قرع الراوي به سمع خائن
 وحسب القوافي أنها فيك ألهمت
 فقد يهب الحق الغراب فصاحة
 سبيلك لم تسلكه إلا منورا
 وكنت لاشتات البلاد موحداً
 وكنت لاجل المجد بالمال زاهداً
 وكم خضت لاستقلال شعبك لجة
 بعيد المنى لم تلق مرساة مطمح
 مشيت له تستبطن البرق مركبا
 أريح كبدًا حملتها كل فادح
 طعام على مضى وشرب على قذى
 تصبرت حتى الصبر كاليأس قاتل
 صعدت جبال الالب تنشد راحة
 كلا كل هم لو انيخت (بيذبل)
 تزيد به التيجان مجداً وسوددا
 وأكرم أخلاقاً وأشرف محمدا
 لبیت علی رمل الحجاز تشيدا
 فكيف وقد ازكى النبي محمدا
 على الدهر ما كرا الجديدان جددا
 ويوشك خد الشمس أن يتجمدا
 يشن اليك الانهائية غردا
 أو أتي أن ترثيك حيا مخلدا
 على كل فرع بلبل للعلی شدا
 يظل على هام السداة مجردا
 تدوّق طعم الموت شعراً مردداً
 لأغدو بها رب البيان المسودا
 وقد ينخرس البطل الهزار المنردا
 وسهمك لم ترسله إلا مسدداً
 كما كنت في الدين الخفيف موحداً
 وكنت لاجل العرب بالمجد أزهداً
 وكم جبت آفاقاً وكم جزت فدفا
 الى المجد إلا سامك المجد أبعدا
 وأدر كته تستوطى النجم مقعدا
 من الهم يعي الشم لو كن أكبدا
 ومشى على جمر ونوم على مدى
 وحتى ذمنا في الخطوب التجلدا
 وعدت كان الالب في القلب صعدا
 لعاد (يزوفاً) يقذف الجمر والردى

حزن أب

قصة مصرية بقلم الاستاذ محمود نيمور

حدثني الراوى قائلا :-

كانت لنا ضيعة فى الشرقية كنت دائماً التردد عليها لمراقبة أعمالها الزراعية . وكنت أعرف فيها رجلاً يدعى الشيخ عساف صناعته نساج ، كثيراً ما زرته فى داره لاشاهده وقت العمل وهو يشتغل أمام نوله المتواضع البدائى . وكان يرحب بى ويقدم لى فى كل مرة أزوره فيها فنجاناً من قهوته الريفية . والرجل وسيم الظلمة وقور حلو الحديث . له لحية مقصوصة يخلط بياض شعرها بسواده مانت زوجته منذ أعوام وخلفت له ابناً وحيداً ، هو كل عائلته . عكف على تربيته وتعليمه صناعة النسيج حتى برع فيها وأصبح ساعد أبيه الايمن . وكان شاباً جميل التكوين . قوى البنية ، ناعم عيناه ذكاه ونشاطاً . يحبه أبوه حباً عظيماً ويكثر من التحدث عنه فى المجالس معدداً فضائله بفخر واعجاب

وذهبت مرة الى الضيعة كعادتى فبوغت بخبر فطيع كان له اسوأ وقع فى قلبى . علمت بأن الابن مات قتيلاً تحت عجلات القطار ! . . وقصدت من فورى الشيخ عساف فى داره لأعزيه فى نكته فاكرم وفادى وقدم لى كالمعتاد فنجاناً من قهوته الريفية . ولكنه كان يعمل كالآلة الميكانيكية بلا روح . ولاحظت عليه شحوباً وامتقاعاً فى اللون . وكنت أحس وهو يتكلم كأنه ينزع الكلمات من لسانه فى جهد . وكأنه يفتش عن الموضوعات فى حيرة ، ذلك الذى كان لا تموزه طلاقة ولا بيان . وكانت تعزبه نوبات صمت ووجوم كان يستيقظ منها مذعوراً ويلتفت حوله فى دهشة كأنه يقول : أين كنت وأين أنا الآن ؟ . ثم يتابع حديثه بمشقة . وقد عزيته بكلمة صغيرة اجتهدت أن أضمنها حقيقة شعورى نحوه . فاجابنى برد ساذج عادى ، ولكن بصوت خشن ونبرات مهتزة . وكان هذا الحديث القصير هو حديثنا عن الابن وعن ميتته . ولما اتمت زيارتى هزرت يده طويلاً فى صمت هزة العطف والاخلاص

ومرت الايام وتكررت زيارتى للضيعة . وكنت دائماً اسأل عن الشيخ عساف فيخبرونى أنه قليل الخروج من منزله . فأذهب اليه بدافع خفى وأقضى معه بعض الوقت . وكان الرجل يتهدم يوماً عن يوم . فازداد وجهه شحوباً وتجهماً . وقل حديثه وأصبح جافاً مقتضباً . وتقذرت لحيته وتشعثت فى شكل منفر . وبدأت ملابسه تهلهل وتعلوها الالوساخ

ورأيت منسججه غارقاً في صمته ووحده وانقباضه ، وقد اكتسى بالغبار والغسكوت . وعلمت أن حالته المالية قد ساءت وأنه باع جاموسته وطيوره

أما منزله فصار خراباً ، لا يتنفس عن الحياة ، ينجيم عليه الاهمال والصمت . فهو أشبه بقبر مهتمم قديم غير صالح حتى ولا للاموات

وكان الرجل يزورني في الدوار بعض الاحيان عملاً بواجب المجاملة . وكان يقضى جل الوقت صامتاً منكس الرأس يجترهمه على مهل مستطاماً اياه . ولم يحدث أن فاه بكلمة واحدة عن ابنه وجاء مرة . وبعد تناوله القهوة رفع رأسه وسألني قائلاً : ألا تستطيع أن تخبرني يا سيدى اليه بما يحس به الشخص الذى يموت قتيلاً تحت عجلات القطار وما مبلغ ألمه ؟

فبوغت وحاولت عبثاً اخفاء ارتباكي . ولكنى قلت له : أظن انه لا يحس بشئ . انها ميتة سريعة ! فجهر بصوته وقال في تأكيد : يقينى أنه يتألم أشد الآلام !

واحتقن وجهه وغارت تجاعيده أكثر من الاول واحمرت عيناه المبردتان ونفرت عروق رقبته واحتل تنفسه . فاحترمت ألمه ولم أجب . وظل هكذا برهة في ثورة صامتة . ثم هدأ تدريجياً وعاد إلى خموله الاول

ومرت الايام أيضاً وتكررت زيارتى للضيعة والشيخ عساف ينحدر من سبيله الى أسوأ حتى صار كاهيكل . وكان إذا سار قليلاً ظهرت عليه بوادر الأعياء . وكان دائماً مستغرقاً في صمته القلق وذهوله المضطرب ... حقاً لقد كانت حالته تدعو إلى التألم والرثاء . ولكن لم يكن في استطاعة أحد أن يعمل شيئاً من أجله . ومكثت مرة في الضيعة أسبوعاً رأيت في خلاله الشيخ عساف مرة واحدة . جاءنى عشية سافرى إلى القاهرة وكنت في الحديقة بمفردى تاركاً نفسى تسبح في خولها بعد يوم كله كد وتعب ، وكان السكون الفظيع ينجيم على المكان

حيائى الشيخ وجلس أمامى وهو ينهج من تعب المسير . وبعد ان استراح قليلاً بادرني بقوله : — لقد قصدتك في حاجة ... فهل أنت قاضيا لى ؟

فقلت وقد تحققت أن الرجل فى ضيق مالى : طلبك محباب يا شيخ عساف ... كم تطلب ؟ فنظر إلى مستغرباً وقال : لا أطلب نقوداً يا سيدى — إذا ماذا ؟ ...

— أسمح لى بمرافقتك إلى « الزقازيق » غداً ؟

فنظرت اليه فى دهشة ولم أجب ، وابتسم ابتسامة خفيفة وقال :

— أريد ان أرى الدنيا ... أن أتفسح قليلاً ... أن اتفرج على خلق الله وعلى المدينة

الكبيرة التى لم أرها إلا مرة فى صباى ... هل فى طلبى هذا ما يشير العجب ؟

وكان يتكلم بلهجة متزنة رقيقة وقد بدأ وجهه يشرق إشراقه القديم . وأمسك يدى وجعل

يلاطفها في الحاح وهو يقول : ألا تجيئيني إلى طليبي ... ؟
فقلت له وأنا مازلت متحيراً : أحبيك إليه إذا كان هذا يسرك
فلمعت عيناه وقال : يسرنى جداً ...

ومن ثم أخذ يسامرنى بشيء من طرائفه القديمة التى كدت أنساها لطول عهدي بها . وكان
وهو يفعل ذلك كأنه يجالو الصدا عن تحفة غالية مهمة ويعرضها من جديد لأمعة تستهوى القلوب
ولم يطل مكوته معى إذ حل عليه « الوخم » سريعاً فأعفيتها من جلسته . وقام وهو يشكرنى ويكرر
لى عزمه على مرافقتى الى الزقازيق

وفى صباح الغد أعدوا لنا العربى ذات البغلين المهدمتين . واعتلى مقعد القيادة رجل فلاح بلبدة
سمراء وجلباب « مزهر » وكان فى يمينه عصا طويلة لينة يستعملها كرباجا . وصعدت الى العربى أنا
وناطر الزراعة وانتظرنا محيى الشيخ عساف . ولما طال بنا الانتظار قال لى الناطر :

— ان الرجل لن يأتى على ما أظن . واخشى ان يفوتنا القطار

فاجبته قائلاً : وهذا رأيى ايضا . . . هلم يا اسطى

وما كادت العربى تتحرك حتى سمعنا صوتا متقطع الانفاس ينادينا . فالتفت فاذا بالشيخ عساف
يجرى صوبنا — حسبما تساعده قوته — وهو يشير علينا بأن نتوقف . فامرت الحوذى بأن يقف .
وجاء الشيخ عساف وصعد الى العربى وتهالك على المقعد فى حالة تشبه الاعاء وهو يتنم قائلاً :
— كادت تفوتنى هذه الفرصة . . .

وسرنا وبدأ الشيخ يستعيد قوته . وبذل ما فى وسعه ليسامرنا ولكنه اخفق . اذ كانت موضوعاته
مشوشة مبتورة ولهجته مضطربة مختلة . وكان ينسى نفسه فيستغرق فى وجوم عجيب . وتصيبه
الرعدة بعض الاحيان كأنه مقررور او محموم

واخيراً وصلنا وتزلنا من العربى واتجهنا صوب المحطة . ثم قصدنا « البوفيه » وطلبنا قهوة
وسجائر . وقل كلام الشيخ حتى اصبح نادراً . وعكف على قهوته يحتمسها وعلى سجائره يدخنها .
ولاحظت عليه شيئاً من امتناع الوجه . وكانت شفاته ترتعشان من وقت لآخر

واخرجت ساعتى وقلت : باقى خمس دقائق على وصول القطار

فرفع الشيخ عساف رأسه وقال وهو يستعد للقيام : هلم . . .

وقنا إلى الرصيف . وبعد قليل سمعنا هدير القطار . ثم رأينا هجم على المحطة هجوم الغازى
المنتصر . وبينما كنت مهتما مع الناطر والشيال بأعداد الحقائق سمعت صياحاً عاليا تبعته جلبة وهرج
ثم شاهدت ازدحاماً على جهة من الرصيف وطرق سمعى هذه الجملة : — لقد تهشم وتقطع اربا
وهرعت صوب النظام واستعطت ان ارى تحت عجلات القطار بقعا من الدم وبقايا ملابس
ولحم آدمى مفروم . والتفت حولى افتقد الشيخ عساف فلم اعثر له على اثر . . . !

الخطيب والجمهور (١)

للدكتور نقولا فياض

ان بين الخطيب والجمهور صلة نسب وقرابة ولكنها ليست متينة الاسباب في كل حين ، وهذا ما يجعل موقف الخطيب حرجاً ، فان الجمهور مؤلف من طبقات مختلفة وفيه العالم والامي والقنوع اللين الحريكة والعنيد الصلب الشكيمة . فاذا كان الخطيب ممن الفوا المنابر واعتادوا على تلك الوجوه الشاخصة اليهم والعيون المكدقة بهم فقد وجد السبيل مهيئاً امامه وكان فوزه أكيداً . وإذا كان على خلاف ذلك أو هو يخطب للمرة الاولى فقد عز مطلبه ووعرت طريقه وكان من الواجب قبل كل أمر أن يستميل الحضور اليه وأن يهيئ نفسه لقبول ما قد يصدر عنهم من ضجة أو ضحك أو مقاطعة أو غير ذلك ولا سيما إذا كان في الحفل كثير من العامة كما يحدث في الاجتماعات السياسية أيام الانتخابات ، وهذا أمر قليل الوقوع عندنا لعدم توافر الاسباب الداعية اليه

وربما ساء الخطيب قلة الاقبال عليه وعدم امتلاء النادي بالسامعين . فعليه أن يدافع هذا الاثر ويتغلب على غيظه ويلقى خطبته بكل ما أوتي من حماسة حتى اذا خرج الناس معجبين بما قال كان لخطابه صدى جميل في المحافل والاندية لا يلبث معه حتى يتغير اعتقاد الناس فيه فيأسف من قصر عن الحضور ويعاهد النفس ألا يدع فرصة تفوته فيما بعد لسماع هذا الخطيب

ومثل ذلك إذا كان السواد الاعظم من عامة الناس الذين لم تسمح لهم أعمال الحياة ومطالب الجهاد أن يتوسعوا في الثقافة ، فلا يكون هذا مشطاً له لانه لا يشق عليه أن يستميلهم ويملك عليهم نفوسهم ولو لم يعوا كل ما يقول . فان السامع الامي كالفقير الذي يعرف أنه لا يستطيع أن يلبس الحز والديباج ويروقه مع ذلك مرأى هذا الزهو وربما حصل عليه بالتصور . فهو أي السامع يدرك أن في كلام الخطيب ما يسمو عن مداركه أحياناً ولكن يسره أن يسمع ويرى ، وقد ترضيه من الخطيب بعض الظواهر أو الحركات فتلقى ستاراً على جهله ويمحو من ذهنه أثر العجز الذي هو فيه فيخرج مسروراً مسحوراً لان حكم الجماعات يكون عادة حسب الالهواء والشهوات والتأثيرات النفسانية

وقد يقف خطيبان أو أكثر في ناد فيأتى الواحد بأبلغ ما يمكن ويلم بموضوعه من كل أطرافه ولا يترك شاردة إلا قيدها . ويقول الآخر كلاماً سطحياً لا يدل على تعمق في الدرس ولا اجتهد في

البحث ولكنه يأتي ببعض النكات المستغرفة فينال من الاستحسان والتصفيق أضاف ما نال الأول
الا أن هذا الفوز عارض لا يلبث حتى يزول عند ما تنقش غيمة التأثير الخطابي وينشر قول هذا وذلك
ويطلع القراء على فحواهما ويسهل لكل في خلوته أن يبدى حكماً صحيحاً بعيداً عن التأثيرات
الخارجية

ولا يجوز للخطيب أن يحتقر العامة لأن غايته في الغالب هي التهذيب والارشاد والاصلاح ، ولا
يصل إليها بالازدراء بسماعه بل هو بهذا الاحتقار يخوهم الحق ان يحتقروه . وأول ما يجب عليه في
هذه الاحوال أن يتعرف الى اهوائهم وبحارهم في مشاربهم أحيانا فقد لا تكون بعيدة عن الصواب ،
وأن يصفى الى كلامهم فالحكمة قد تأتي من فم الجاهل ، وأن يتبع المثل الاعلى الذي يريد ان يرسمه
للناس فلا يأنف من عرضه عليهم ولا يئأس من تقريبهم منه

من العقبات التي تعترض الخطيب وهو على المنبر أن لا يفهمه كل انسان فتقوم المعارضة من كل
ناحية لأن هذا الجمهور المختلف الطبقات والامزجة والتربية والغاية يسرى فيه الف مذهب والف
عقيدة والف وهم . وعلى الخطيب أن يؤلف بين هذه القوى المتباينة ليقودها في طريقه ولا يتم له ذلك
إلا بالصبر والحلم وطول الأناة والتسامح . وهو يسعى الى ارضاء هذا الجمهور ولكن لا من طريق
الاكراه الذي يفضي إلى الفشل . فاذا دافع عن رأيه فلا يكون دفاعه بمحاولة هدم مذهب سواء
فان لكل رأى مظهراً من مظاهر الحقيقة ولم نسمع أبداً أن كل الناس خرجوا من حفلة خطابية
راضين مقتنعين . وقد كان والدك روسو يقول عن نفسه : « أنا اطلب من كلامي نجاحاً لا انتصاراً »
وهذا ما يجب على كل خطيب أو مناظر أن يضعه نصب عينيه . وخطاب أنطونيوس في مقتل قيصر
أبلغ مثال يقدم على ذلك

وقد تكون المعارضة عن اخلاص أو سوء فهم أو حب بالظهور ، فاذا أدرك الخطيب ذلك عرف
أن يعطى لكل مقام مقالا ولكل جواب حالا

أما المقاطعة فلا يجب أن تخرجه عن جادة الموضوع لأنه لا يخطب لواحد بل لجماعة ولينص في
كلامه حتى النهاية إلا اذا كان حاد الذهن حاضر البديهة فيرد على من قاطعه بكلمة ثم يعود الى موضوعه .
واذا لم يوفق الى سرعة الرد فليمر بالاعتراض مر الكرام ذلك خير من أن يقول قولاً لا معنى له أو
فيه شتيمة وسباب

لما اعتصب عمال السكة الحديدية في فرنسا وعددهم يربو على ١٥٠ ألفاً ، لجأ الوزير بريان الى
اصدار أمر بالتعبئة العامة فكانت الوسطة الوحيدة للتغلب على الثورة والضرب على أيدي المعتصين
بدون أن تسفك قطرة دم . وكان ذلك في أثناء عطلة البرلمان ، فلما حان انعقاد الجلسة الاولى
للدورة الجديدة كانت الافكار في غليان والخواطر في هيجان والنواب تتحضر للوثوب معترضة على
هذا العمل الاستبدادي في الظاهر . وجاء بريان لتقديم الحساب فعملت الاصوات من كل جانب :

« ليسقط الدكتاتور . ليسقط الكابورال » . فوقف في مكانه جامداً الى أن أُتيح له فرصة ليرفع صوته فصاح بهم : « دكتاتور ؟ مسكين أنا . مالكم أيها السادة إلا ان تقولوا كلمة أو تبدوا إشارة فاترك هذا المنبر بلا أسف وأعود إلى مكاني في صفوفكم خادماً بسيطاً لهذا الوطن » كلمات وحيزة ولكنها قوية بمعناها ومطابقتها الحال فجاءت كالماء على الحجر فهمدت حدة التأثيرين وخذت ثورة الصائحين . وأمكن بريان أن ينطلق في حديثه مبرراً عمله فإذا بالغضب يتحول رضى والحيلة تنقلب سكوتا والثبور يعود اطمئنانا . وبعد ان كانت هدفا لسهام الناقدين زل عن المنبر بين اهتاف والتصفيق ومصافحة المهنيين . ولكن ليس كل الخطباء مثل بريان ولم يؤت سرعة البداهة كل انسان . وكمن أصحاب العقول الراجحة من يقتصر اليها فقد كان جاك روسو يقول عن نفسه : « لم أستطع عمري ان أؤتي جواباً موفيقاً الا ربع ساعة بعد الوقت الملائم »

والمقاطعة في حادثة بريان وقعت قبل أن يتكلم ولا أدري هل تكون أشد وقعاً لو جاءت في عرض الخطاب فكانت كالصخر الذي يلقي في مصب السيل فينحرف به حيناً عن قصد السيل ! . على كل حال ليس على الخطيب من جناح إذا لم يحضره الرد فوراً ولا يلام إذا حاول الجواب فقال ما لا معنى له ولا فائدة منه . مثلاً قد يسمع الخطيب مقاطعاً يقول : هذا كذب ! فيجيبه : أنت الكاذب لا أنا . مثل هذا الجواب أفضل السكوت عليه ألف مرة

ومن أجل ما يذكر من المقاطعة عن خطباء العرب ما حكاه صاحب العقد الفريد عن زياد عن مالك بن أنس قال : « خطب أبو جعفر المنصور فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اتقوا الله . فقام اليه رجل من عرض الناس فقال : أذكرك الذي ذكرتنا به . فاجابه أبو جعفر بلا فكر ولا روية : سمعاً سمعاً لمن ذكر بالله . وأعوذ بالله أن اذكرك به وأنساء . فتأخذني العزة بالاثم . لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين . وأما أنت فوالله ما الله أردت بهذا ولكن ليقال قام فقال فعوقب فصبر . وأهون بها لو كانت . وأنا أنذركم أيها الناس أختها فان الموعظة علينا نزلت وفينا انبثت » ثم رجع إلى مكانه في الخطابة

إن السكوت والتوقف عن الكلام حيناً خير من الجواب على المقاطعة اذا لم تات بمثل هذه البلاغة ، ولا سيما اذا كان المقصود منها الاضرار بالخطيب والتشفي . وهذا السكوت الدال على عدم الاكتراث بالمقاطع يعد مقدرة وترفعاً محموداً . وأما اذا كانت المقاطعة للاستفادة والتعمق في البحث فقد يستطيع الخطيب مواصلة حديثه اكتساباً للوقت مع التفكير في الرد في آن واحد الى أن يحضره الجواب اللائق الموافق وهذا من وراء الغاية

وبحسن بالخطيب حينما يخلو الى نفسه أن يعيد في ذهنه ما جرى في الحفلة ولتذكر موقف الجمهور والمقاطعين وينظر فيما اذا كان قد أحسن التصرف ازاء هؤلاء وأولئك . ففي هذا التفكير درس وعبرة

الامبراطورية العربية^(١)

وهل آن أن تتحقق

بقلم الاستاذ عبد الرحمن عزام

تكاد تكون حلما وقد كانت حقيقة ، ويكاد ينكرها أهلها ، وكانوا لا يتصورون الحياة بغيرها !
أرأيت إذن كيف تذلل النفوس وتراخي الهمم ؟

كنت أتحدث مع أحد محرري « الهلال » عن الوحدة العربية والدولة المنتظرة كنتيجة لهذه الوحدة ، وكلما أفضت في الحديث نظر الى كمن يستمع الى حلم لذيد ، ثم سألتني أن أظهر على الناس بهذه الفكرة فلعلى واجد من يؤمن بها

وماهى بدعوة جديدة ولا فيها غريب ، بل هى الاصل . واستسلام العرب فى الشرق والمغرب للعيش بغير دولة هو الغريب !

فهاأنذا أسائل العرب فى آسيا وأفريقيا ، بل أسائل المرتابين فى مستقبل هذه الأمة العظيمة أن يذكروا ماضيهم

ليذكروا امبراطورية الامويين والعباسيين والفاطميين والموحدين والمرابطين والحفصيين .
ليذكروا مئات السنين التى كانت فيها امبراطورية العرب زاهية عزيزة

ليذكروا ذلك فيؤمنوا ببعثها ، فما مات العرب وانما غشيهم النعاس . وقد تضاعف عديدهم واتسعت أوطانهم

ليذكر المرتابون دولة الخلفاء الراشدين ، وقد بسطت فى عشر سنين سلطاتها على ملك كسرى وقبصر

وقد كان ملك كسرى وقبصر أعرق حضارة وأكثر علما وأعظم ثراء . ولو أن رجلا ساح فى ذلك العهد ببلاد الفرس والرومان ورأى قلب الجزيرة ثم بعث اليوم ليطوف العالم ، لشهد بأن الأمة العربية الحالية فى مكان مهيب لاقامة الامبراطورية أكثر مما كان عليه أسلافها وقت أن غيروا وجه البسيطة

(١) اخترناها له . . .

فإذا تحدثنا عن قيام هذه الامبراطورية اليوم ، فأنما نستند الى حقائق تاريخية وواقعية والى قوى طبيعية ظاهرة وكمينة فى سبعين مليوناً من البشر

أرأيت لو أن رجلاً فى القرن السابع الهجرى رأى عمر بن الخطاب قبل عشر سنين من توليه الخلافة وأوحى اليه أن عمر سيكون بعد عشر سنين وارث كسرى وقيصر ، أكان يرتاب فيما أوحى اليه أم كان يؤمن به ؟ ومع ذلك فقد رأى الناس عمر بدويًا ضالاً وراؤه سيد العالم . فبال مرتابين من العرب يشكرون اليوم أن نقول إن سبعين مليوناً تربطهم عقيدة دينية ولغة موحدة وعرف مشترك يصلحون لاقامة امبراطورية

فى أوائل القرن الماضى كانت بين مرتزقة الجند فى القاهرة رجل يعيش فى عش الفوضى والاضطراب بين قوم عمهم الجبل وسادت فيهم الخرافات . ذلك الرجل لم يمت حتى أقام امبراطورية عربية

فلو أن سألنا تعرف الى محمد على بين طائفة « الباش بوزوق » من الارانطة وقيل له أن هذا الجندى سيملك مصر والسودان والشام والحجاز ونجداً أكان يستخر من ذلك القول ، أم كان يؤمن به ؟ ومع ذلك فقد رأى الناس محمد على على رأس الامبراطورية العربية

وفى أواخر القرن الماضى ظهر رجل فى جزيرة « أبا » فى النيل الابيض كان يحترف فى دنقلة وغير دنقلة تعليم القرآن للصبية ويطوف البلاد لا يؤبه له . ولم يمت هذا الرجل حتى هزم الدولة المصرية والدولة البريطانية جميعاً . وما كان أحد ليدري مصير الدولة التى أقامها لو امتد به الاجل ، ذلك هو محمد احمد المهدي . وقد قام على أعقاب رجل من البقارة رؤى فى كردفان يسوق حماراً هو كل ما يملك ويصحب زوجته وولده . ورؤى هذا الرجل بعد عشر سنين ملكاً عظيماً كان بعض ضحايا امبراطور الحبشة نفسها ، ذلك هو عبد الله التعايشى

وفى أوائل هذا القرن كان عبد العزيز بن سعود ضيفاً لاجئاً مع أبيه عند أمير الكويت . وهو اليوم يستطيع أن يعي ثلثمائة الف مقاتل لا يعرفون لغيره امراً

والعرب اليوم ملأوا الارض يعمرن المنطقة المعتدلة فى غربى آسيا وشمالى أفريقيا وهم من أشد الاقوام بأساً . كما هم فى أمصارهم من أقربهم الى مناهل العلم والحضارة فإذا قبل انهم على أبواب الخروج للعالم بالدولة التى تليق بعظمتهم التاريخية والحالية ظن المرتابون أننا نسبح فى حلم لذيذ

ليس بين العرب وبين بعضهم مرة أخرى إلا أن يؤمنوا بأنفسهم وأن يؤمنوا بوجودهم . فقد افتنوا بعظمة غيرهم حتى نسوا ذلك الوجود

وليس بين العرب وبين الامبراطورية التى تمثل عظمتهم إلا أن يكونوا كاليابانيين والصينيين والروس والترك والافغان والفرس مؤمنين بأنهم أمة لها حق تقرير مصيرها

وقد اخترت هذه الأمم للمثل لأن العرب في مجموعهم ليسوا أقل منها نضجاً ولا حضارة
ففي اليابان وروسيا عشرات الملايين من البشر الذين لا يمتازون عن البقارة في جنوبي كردفان
أو الصحران في شرقي نجد . ولا يدرون من الحياة إلا أن يكدوا كما تكد النمل للعيش على غذاء
من الارز أو التبر . وإنما هي العزة القومية والمثل الأعلى والقذوة الحسنة هي التي جعلت من هاتين
الامبراطوريتين أكبر دول العالم

والامة العربية موجودة بصفات محدودة وهيئة مستقرة فهي ليست في دور التكوين . بل هي
مخلوق حي كامل الحلقة وما الامبراطورية التي تتحدث عنها إلا مظهر لكائن حي ما يزال في محنة
الشك في نفسه والريب من قدره

لقد أتيج لي ان اخاطب الشعوب العربية في افريقيا وآسيا . وبالرغم من الحدود المصطنعة التي
تفصل هذه الشعوب ومن الاستعمار الاوربي الذي يعمل على حل عرى الوحدة فيها . بل بالرغم من
انحدار دمائها من الاصول السامية والحامية . فان الامة العربية الحديثة هي وحدة اجتماعية وثقافية
وليدة تاريخ مشترك لها خواصها الظاهرة والخفية التي تميزها عن غيرها من الشعوب والأمم
وهي بحالتها الراهنة - التي هي نتيجة لفعل الاربعة عشر قرناً الماضية - جديرة بأن تحتل
مكانها بين أمم العالم العظيمة الموحدة

ففي برقة أو نجد أو بحر العرب أو على الفترات . وفي لبنان أو في الاطلس . أمة ذات مزاج
مشترك لها عقيدتها ولسانها وعرفها تجمعها الكليات وان اختلفت الجزئيات
داؤها في العراق والشام ومصر والسودان والمغرب هو الفتنة ، فقد فتوا جميعاً بعظمة الخير ،
ونسوا أنفسهم . ودواؤها الدعوة الى الايمان بالذات والمثل يضربه أفذاذ الرجال ليثوابه الايمان
قد يقول بعض الناس : اننا لا نذكر أن الناطقين بالضاد أمة واحدة ، ولكن أنى لهذه الشعوب
المنتشرة في آسيا وافريقيا أن تتعاون في امبراطورية واحدة ؟

فان كان هذا هو كل ما يجعل الدعوة مستحيلة فيذكر المعترضون ان للانجليز في افريقيا وحدها
ملكاً هو أوسع من أرض الامة العربية . وفي الهند من البشر خمسة اضعاف عدد العرب يحكمهم وال
واحد . وفي الامبراطورية الروسية سيرا وحدها أوسع رقعة
ولو ذكر العرب دول آبائهم في الامبراطورية الاموية أو العباسية أو الفاطمية وذكروا مواصلات
ذلك العهد لعلوا كيف سمت الثقة بآبائهم وقصر اليأس بهم

والآن وقد قربت الى الاذهان فكرة الوحدة ، هل لي ان اشير الى بعض الضرورات التي
تقضي على المفكرين أن يتخذوها شعارهم اذ لمستقبل للشعوب العربية بغيرها ؟

نحن في القرن العشرين في عصر التناطح بين كتل بشرية ضخمة ، والتنافس بين قوى مجتمعة
تستند الى موارد متعددة من الثروات الطبيعية ، فلا سبيل لمجاراتها والعيش معها على قدم المساواة ولا

سبيل لأن يكون لأمتنا صوت مسموع في الدنيا إلا إذا كانت لنا جهة متراسة تعد وراها عشرات الملايين وتستمد لها العيش والرخاء من ثروات متنوعة في الزراعة والصناعة
فن المستحيل على الشعوب القليلة العدد المستندة في عيشها إلى غلة واحدة أن تتقدم إلى الصدر في محضر الأمم الكبيرة . بل لابد أن تعيش ذيلاً وعالة على غيرها

نحن في عصر « الكارتل والترصت » وقد مضى زمن الدكان الصغير . فهل يظن العراقيون أو الشاميون أو المصريون أنهم يستطيعون الوصول إلى حياة محترمة بغير الوحدة ؟ وليذكر قادة الرأي وأهل البصر ألا وجود للدولة قبل النهضة ولا بقاء لها بغير الأمن والسلامة ، ولا أمن في العصر الحاضر لغير القوى الكثيفة . وهنا يحسن بي أن ألفت مواطني المصريين إلى قول نشر للاستاذ ويحال العالم الاثرى الذى مات أخيراً . فقد قال وأثبت بشواهد كثيرة أن مصر كانت على الدوام امبراطورية إلا حين كانت تستولى عليها أمة أجنبية ، وإنما إذا شامت أن تستقل في هذه الأيام وجب عليها أن تنظر إلى تاريخها القديم وتعتبر به لأنها بين أمرين لا مفر منهما : إما امبراطورية تستولى على طرابلس والسودان وفلسطين وسوريا وأما أمة مغلوبة يحكمها غيرها وتستبد بها دولة أجنبية . وذلك لأن مركزها الجغرافى - وهى محوطة بالصحارى المفتوحة من كل ناحية - يجبرها على أن تؤمن حدودها بعبور هذه الصحارى والتغلب على الشعوب القاطنة بعد حدودها . وكلما تراخت قبضتها على هذه الأمم وانحسرت امبراطوريتها وقمت فريسة للفتاحين . وقد ضرب ويحال مثلاً بالأسرة الثانية عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والبطاسية والفاطمين والايوبيين ومحمد على . وهو حق لا مرأى فيه . وكنت أشعر به وقت أن قاتلنا الانجليز على حدود مصر الغربية سنة ١٩١٦

وقد من الله على مصر الحديثة بأن بسط حدودها شرقاً وغرباً ، فجعلها قلباً في جسم أمة عظيمة تمتد من الخليج الفارسى إلى المحيط الاطلسى . فهى في وسط إخوة في العقيدة والدم واللغة فيجب عليها أن تستفيد مما أحدثته العصور الاسلامية وأن تكون في طليعة الدعاة إلى الوحدة . فليس لها سلامة بغيرها كما أنه لا حياة لبقية الشعوب العربية بدونها

والنتيجة ان الدعوة إلى الامبراطورية العربية ليست حلماً يلهى الخيال الواسع ، بل هى تستند إلى حقيقة تاريخية وإلى ضرورة حالة . فالحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعوب العربية تستلزمها . وهى الضمان الوحيد للاستقلال والحرية والسلم الداخلى والخارجى لهذه الشعوب وأخيراً أرجو ألا يسىء أحد فهم هذه الدعوة فليست أقصد بكلمة الامبراطورية العربية غير الوحدة على أى مظهر تحققت . وليس الغرض تغلب قبيلة على قبائل أو امير على امراء أو استئثار اقليم ببقية الاقاليم وليست تصوراً لنظام دون آخر ولا هيئة من الهيئات التى تكون عليها الدولة دون أخرى . وإنما أول القصد وغاياته التعاون بين الشعوب العربية لتكون جهة واحدة تسير على ضوء المثل الأعلى الذى نخرجه من اجها المشترك إلى الغاية السامية التى هى جدرة بالامة الحرة الكريمة

السعادة وأركانها الأربعة^(١)

بقلم الأستاذ أمين السرحاني

قلبا تجد في حياة المرء نعيما لا يحول، أو بؤساً لا يزول . فقد تجيء قسمة بعض الناس مناصفة من الاثنين . وهم مع ذلك يتذمرون . وقد يجيء النعيم راجحاً في كفة آخرين . وهم مع ذلك غير راضين . أما القسم الأكبر من اخواننا في الانسانية فهم الذين يحق لهم التذمر ، لو كان التذمر يفيد ، لان نصيبهم من البؤس اكبر

كيف التوصل اذا الى عكس هذه الحال ؟ كيف السبيل الى ترجيح النعيم في قسمة الناس أجمعين ؟ إن الحالين ولا ريب يتعاقبان في حياة كل انسان

وليس النسيان طوع الارادة . فالمرء ينسى أيام بؤسه ما لقي من نعمة وهناك (حتى أيوب الصديق نسي ذلك) وقلبا ينسى الانسان حين سعادته أنه كان من المظلومين البائسين . أى أنه ينكر فضل الزمان عند ما يقلب الزمان له ظهر المجن . قد ملأ أيوب الارض صراخاً وتذمراً لانه بعد نعمة سابقة ابتلى في ماله وجسده . ولو ذكر الاولى هانت عليه الثانية

ولكن الحكيم والجاهل في هذا سواء . لذلك نطلب للاتنين حماية العلم والشرائع والدين . لان بها يعم النعيم وينجف البؤس بقدر الامكان في حياة الانسان

أجل . إن الواجب الأول على الدين والعلم والشرائع هو أن تساعد في تحقيق أمل المصلحين الاعلى . وهو أن يكون الخير الاكبر نصيب العدد الاكبر من الناس . ولا ريب اننا سائرون في هذا السبيل . لا ريب عندي أن عدد الذين يتقاسمون اليوم النعيم والبؤس هم أكثر جداً من عدد أمثالهم في أيام توت عنخ آمون . وسيزداد هذا العدد . وسيرجح في القسمة الهناء كلما تقدمنا في العلم وفي الإصلاحات الاجتماعية . . أما أسباب هذا التقدم فمن أهمها اصلاح الانسان نفسه . وأهم ما في هذا الإصلاح هو أن يعلم الحقيقة الكبرى ويعمل بها . وهذه الحقيقة هي أن هناك العيش لا يقوم بغير أربعة أوجه هي : صحة الجسد . وصحة العقل . وصحة الروح . ثم اليسر أو الاستغناء^٢ قد تعدد الطرق الى ذلك . وقد يختلف في بعضها الحكماء . ولكنني أقدم للقارىء ما هو عندي في أعلى منزلة اليقين . وعله ثمرة الخبرة والامتحان

(١) اخترناها له . . .

كيف تحفظ أو كيف تستعير الصحة والمناقب :

- ١ — لا تعود نفسك الأدوية والمقويات
- ٢ — لا تلجأ في تخفيف الم أو إزالة هم إلى المنبهات والمخدرات
- ٣ — لا تتعود الهوادة فيما تعتقده لازماً لصحتك
- ٤ — لا تسترسل في الملهيات ، ولا تطاق العنان للشهوات
- ٥ — نم مبكراً و قم مبكراً
- ٦ — عود نفسك التنفس تنفساً علياً بضع دقائق كل يوم . قف امام النافذة أو في الهواء الطلق واملاً رثيتك من منخريك وافرغهما من فأك
- ٧ — كل ما تشتهي نفسك . ولا تأكل لتشبع . لتكن القاعدة انك عند ما تنهض من المائدة لا تشعر بأن لك معدة . واذا انحراف مزاجك اذكر كلمة النبي محمد واعمل بها : « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء »
- ٨ — صم اسبوعاً او اسبوعين في اول الربيع
- ٩ — عود نفسك الرياضة في العراء كأن تعلم السباحة مثلاً او الصيد او ركوب الخيل او « التانيس » . واذا كان عملك او حالك لا يسمح بذلك فمارس قبل النوم وعند ما تنهض في الصباح بعض الحركات ترويضاً للجسد
- ١٠ — اغتسل بالماء البارد صباح كل يوم . واذا كرر وانت تتنشف ان جسدك هيكلم مفدى لله فاحفظه سليماً طاهراً نقياً
- ١١ — امش الى عملك أو امش نصف ساعة على الأقل كل يوم تستنشق هواء الصباح فترقص الحياة في دمك ، وينور الورد في خديك . امش وأنت مدرك أنك جزء صحيح سليم من الكون . امش وفي خطواتك وفي قلبك خفة الطيور وطرب الطيور
- رأيت ذات يوم شابين يتصارعان ، فقال المشاهدون للخلوب : لا يمكنك أن تغلبه وهو يتمرن ، ويمشى ، ويفطس في الماء البارد كل يوم
- وهناك في حفظ الصحة وصية أخرى ، هي الوصية الاخيرة . قد أشرت فيما تقدم الى التذمر ولم أذكر الحسد شقيقه الاول . فالتذمر اذا كنت مريضاً يزيد في مرضك ، واذا كنت فقيراً لا يغنيك . وقد يزيد فقرك لانه يبعد عنك الاصحاب . وفيهم من يستطيع مساعدتك . واذا كنت في محنة فالتذمر لا يزيلها ولا يخففها . أما الحسد فقد يذهب بكل جمال بشرى - بجمال الروح وجمال العقل وجمال الوجه أيضاً . إياك إذن والتذمر وإياك والحسد
- هذه الوصايا الصحية تغنيك اذا واطبت عليها عن الطبيب ، وهي الركن الاول للسعادة
- أما صحة العقل وما يحى معها من القوة واصالة الرأي والحكمة فقوامها المطالعة والتفكير :

- ١ - طالع ولو ساعة كل يوم ما يلد ويفيد من الكتب والمجلات
- ٢ - تجنب الروايات المهيجة للأعصاب والمثيرة للشهوات
- ٣ - لا تنظر الى الحياة ومشاكلها من وجهتك الخاصة فقط ، بل انظر اليها من وجهة جارك ووجهة خصمك أيضا . واذكر ان لكل مسألة وجهين على الاقل
- ٤ - كن منصفاً في أحكامك ، مخلصاً في آرائك ، صادقاً في أقوالك ، عادلاً حتى في نفسك
- ٥ - لا تدع الصغار تزججك ، فتضعف بتكرارها المناعة النفسية ، فلا تقوى إذ ذاك على مقاومة الكبائر المفجعة

- ٦ - ادخر من قواك العقلية والروحية لايام المحن والكروب
 - ٧ - اخل بنفسك ساعة أو نصف ساعة كل يوم ، فتستريح عقليا وجسديا . واذك كنت مضطرب البال أو مكتئبا أو غاضبا فهذه الساعات تعيد اليك السكينة والرضى
 - ٨ - واذكر ان في مضمار الحياة تبارى العقول على الدوام ، وان الفوز للعقل القوي المرن المجرب السريع في التفكير الدقيق في التحليل
- أما الصحة الروحية فركنها الاول الايمان بالله ، ولكن هذا الايمان لا ينفع إلا إذا تمثل في حالك ، وفيما يربطك بالحياة وبالسكون ، أى في الشوق الذى يمثل في الحب ، وفي الحب الذى يربطك بالحياة ، وبالاامل الذى يربطك بالسكون
- عندما تخلو بنفسك اذن ، اجلس مستسلما مسترخيا عقلا وجسداً ، ثم اغمض عينيك ولا تفكر في شيء ، وبعد الاستراحة ، وأنت في فيض من الاثير الطيب ، ابدأ بتأملاتك الروحية تأمل نفسك جزءاً من السكون الذى كله نور وصحة وقوة ، وقل : اللهم زدنى قوة وصحة ونورا . ثم تأمل نفسك جزءاً من المجتمع الانسانى الذى ينبغى ان يكون كالجزم الاول ، صحيحا سليما وقل : سأبدأ اللهم بنفسى فتصلح نفسى جارى ، ثم تأمل نفسك جزءاً من اسرة تقاسمها تبعه الحياة ، او تدبر شؤونها ، وقل : عونك اللهم فى كل ما فيه حب وتساؤل وحكمة واعتدال ولا يفوتك ان الطمأنينة والسكينة هما من اركان الصحة الروحية ، فكن هادى البال صلب العود فى الملمات ، كن ثابت الجأش فى الخطوب ، واذكر دائماً ان ليس هناك خطب بشرى تنتهى عنده الآلام والاحزان

بقى الفقر او الانكال المادى فهو وان سلم الجسم والعقل والروح ، سيم السعادة . وما الترياق لهذا السم غير العمل الذى ينبغى ان يكون مقرونا دائماً بكرامة النفس ، والثقة بالنفس ، والاتكال على النفس . واذ فشلت فى مساعيك اولا وثانيا وثالثا ، فاذا ذكر ان لا شيء يدوم غير دولاب الحظ الذى يدور على الدوام . على انى لا انصحك ان تتكل عليه فى غير امل مقرون بعمل . واذ اقلح سعيك فلا اوصيك بالقناعة لاني اعلم ان القناعة سجن الآمال . اجل . ان المرء لا يجد قسما من سمادته فى العمل الدائم ، كما انه يجد السعادة الكبرى فى النجاح المستمر

ملكة تدمر

مع قصيدة لرسالة سبلي صوط

سمراء نافرة نفور الجؤذر
جمعت الى الحسن البيان فنطق
الجازبية في معانيها وان
نشرت لواء الحسن واختالت على
ومشت كرائم تدمر في عرسها
ويمسن من لون السماء بأزرق
متنمعات بالنضيد الجوهري
متنمعات بالحديث الكوثرى
والقنين يحملن الصنوج عوازفاً
وبنات تدمر شاخصات نحوها
متغنيات بالنشيد التدمرى
كالهة زلفت لها ككهاها
صادت اذينة زينب فاعجب بها
وأذينة المشهور في غاراته
والحب يعثر بالعروش فتتحى
حرب القرون فليس من متقدم
ومن المغاخر ان زينب أوتيت
ما غامرت في حلبة الا شأت

تسبي لآل «سميدع» في تدمر
يسبي وصورة يوسف لمصور
نظرت لمست الكهربا في الحجر
أثرابها منه بأروع مظهر
ينشقن ما في ثوبها من عنبر
ويتهن من لون الشقيق بأحر
في ثفرها والبابلى المسكر
كالنحل حام على غدير السكر
بالنأى يوم زفافها والمزهر
متأملات حسن ذاك المنظر
متخشعات حول بنت المشتري
بمباخر حشيت بمسك اذفر
من ظبية صادت فؤاد غضنفر
طرح السلام امام طرف احور
ويبيع تيجان الملوك ويشترى
كف الوغى عنه ولا متأخر
فوق الجمال الفذ سطوة عنتر
شأو المجلى في متون الضمر

وتمرست بالصيد ليس يهولها
لا تترك النمر الوثوب معفراً
حيناً تعاجله بضربة أبتـر
واذا الطريدة اذبرت عمدت الى
عداءة ان تعد ليس يفوتها
يفلى الدم العربي في اوداجها
اخذت بزند اذينة في حكه
جمع القبائل حوله وأمدھا
واعزھا بنخائر وصوارم
ومشى الى استقلال تدمر ثائراً
وغزا المدائن « بالعناق شوازباً
القائد الجيش اللهم كأنه
طرب بمحممة الجياد الضمر
الضارب الايوان في سابوره
فتمهيت روما مكانة تدمر
واقـر غليانوس معترفا له

بالسيف نال اذينة استقلاله
لا يبلغ الشعراء والخطباء ما
من ليس يؤلمه الهوان فأذنه
والعز مطلبه بمجد الابر
بالسيف يدرك والسنان الاخر
صماء عن رفاعة في منبر

القوة والعلم : هما دعائمنا الحياة

بقلم الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

لا أستطيع أن أعرف أحسن ما كتبت ، فقد أرى حسنا ما ليس بالحسن ، وقد أخطيء في تقدير ما أكتب ، وقد يرى القارئ ما لا يراه الكاتب . فالطلب في ذاته فيه شيء من الإحراج . . . على أني مع ذلك اختار هنا بعض ما اذكر أني تأثرت له تأثراً خاصاً حين كتبتة أو قلته ، وهذا بحسب شعوري من أحسن ما كتبت . فما قلته في مقدمة كتابي (حقوق الشعب) سنة ١٩١٢ :

« لست في هذا الكتاب مدعياً وضع مبادئ جديدة أضيفها إلى المبادئ الخالدة التي تتبعها كل أمة تجاهد في سبيل حريتها واستقلالها . تلك المبادئ التي لم تتغير منذ العصور الاولى إلى هذه الايام الى ما شاء الله ، لان طبائع العلاقات بين الناس أفراداً وجماعات هي هي واحدة لا تتغير فيها ولا تبدل . فالناس منذ خلق الله العالم لم يحتفظوا على حقوقهم ولن يحتفظوا عليها الا بمقدار ما لديهم من شدة وبأس وقوة . وكذلك الأمم تتصارع وتتنازع في معترك الحياة العامة ، ولا يسود في تنازعها الا بدى مبدأ أيدته الحوادث قديماً وحديثاً مثلما يسود بينها مبدأ القوة . فكم ديست للأمم حقوق لأن القوة تنقصها . وكم انتهكت لها حرماناً لضعفها وقلة حولها . ولكم خدعت الأمم نفسها وأرادت أن تعيش ضعيفة بين أمم قوية فما راعت تلك الأمم في معاملتها عهداً ولا أنجزت وعداً ولا احترمت لها حقاً ولا سمعت منها قولاً ، بل كان نصيبها أن توطأ حريتها وحقوقها تحت الاقدام !

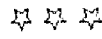
ما أظلم الانسان فرداً وما أظلم الناس جماعات ودولاً ! فكما انه لا يمنع ظلم الانسان عن أخيه الانسان الا القوة وأعني بها قوة الحكومة التي تضمن لكل فرد حقه ، كذلك لا تأمن الأمم بعضها ظلم بعض الا بالقوة ولا تحفظ كل أمة وجودها الا بفضل ما لديها من القوة

هكذا العالم وتلك سنة الله فيه فما أتمس حظ تلك الأمم التي جهلت ذلك المبدأ ونبذته لا تجد من ينصفها ممن يظلمها حتى من أبناءها الذين هم أقرب الناس اليها . يعيشون عبيداً للقوة وخداماً لها وهي تطالب بحقوقها فلا تجد من يجيب طلبها أو يصغي اندائها لان القوة تنقصها

ما أتمس حظ تلك الأمم ثم ما اجهلها وما أضيع اوقاتها وابعدها عن حريتها ! عبثاً تتعلم . عبثاً تتحضر وتهذب ، عبثاً ترتقى في الفنون وتنسج في الصنائع ، عبثاً تجارى الأمم الراقية في مظاهر المدنية ، عبثاً تفعل كل ذلك ما دامت لا تحيط بحياتها وعلومها وفنونها بسياسات القوة

فها ، تغيرت تلك الحقائق منذ خلق الله الانسان ومنذ عاش جماعات في ظل الحكومات ؟ كلا

وربك فهي باقية خالدة تنطق بها الحوادث في بطون الايام وتنادى بصحتها كل يوم تقالبات الزمان .
فقدما حيث الامم بالقوة . وماتت لحرمانها من القوة . وتغلب بعضها على بعض بالقوة
القوة والعلو : هذان العاملان هما الدعامتان اللتان تضمنان للامم حياتها وحقوقها
جئت في هذا الكتاب أخاطب فئتين من الأمة كانوا دائماً جنود الحرية في كل بلاد : وهما رجال
الغد . وجمهور الشعب . جئت أخاطب اخواني الشبان رجال الغد الذين أعد نفسي واحدا منهم
وأعتقد أن عليهم واجبا كبيرا هم مدينون به نحو الله ونحو الأمة ، وهو واجب العمل لتحرير بلادنا



وألقيت خطبة في مجلس النواب (بجلسة ١٧ مايو سنة ١٩٢٤) دافعت فيها عن حق المجلس
في اصدار قرارات برغبات تكون الزامية للحكومة . وهو موضوع ثار حوله جدل كبير في البرلمان .
وعما قلته في هذه الخطبة :

فحق تقرير الرغبة معترف به للجمعية التشريعية . فاذا ما قال مكتب المجلس انه معترف بهذا
الحق أيضا لمجلس النواب فاننا لم نتقدم خطوة واحدة الى الامام لان الرغبات التي كانت تقدم من
الجمعية التشريعية كانت ذات صفة استشارية فقط . وغير معقول ان تكون سلطتنا الآن مساوية لسلطة
الجمعية التشريعية ، لان هذه الجمعية لم تكن تملك السلطة القومية : سلطة الامة . اما فيما يخص بمجلس
النواب فقد نص في الدستور صراحة في المادة (٢٣) ان جميع السلطات مصدرها الامة .
وسلطة الامة ممثلة في مجلس النواب فيكون لهذا المجلس حق تقرير الرغبات التي يراها متفقة مع
الصالح العام ، وتكون ملزمة للهيئة التنفيذية . وهذا الحق وهذا الالتزام وان لم ينص عليهما صراحة
في الدستور الا انهما يتفرعان عن الرقابة البرلمانية او عن المسؤولية الوزارية المقررة في الدستور
لاتميل المجالس النيابية الى تضيق سلطتها بل بالعكس ان تاريخ هذه المجالس يدلنا على انها تميل
على الدوام الى توسيع سلطتها . فلا يجمل بنا اذن ان نفرط في حق تحويله لنا طبيعة الدستور . ان
هذا الحق مظهر من مظاهر السلطة القومية فليس لنا ان نفرط فيه . في هذا المجلس تمثل سلطة
الامة ومن اقدس واجباتنا ان نحافظ عليها لاننا انما جئنا هنا لنكون امانا على سلطة الامة

أرجو من حضراتكم أيها السادة أن تعطوني قليلا من حكمكم فان المسألة تحتاج لناية كبيرة
— نحن لا نشرع للوقت الحاضر ولكننا نشرع للأمة — للدولة — للحاضر والمستقبل . والقرار الذي
يصدر منا في هذه المسألة قرار ملزم لمجلس النواب إلى ما شاء الله لانه قرار يصدر من تلقاء أنفسنا .
ومثل هذا القرار خطر لانه ملزم للهيئة التي أصدرته وحكمه حكم قرار صادر من جمعية وطنية .
فلنتريث في الامر قبل البت فيه — فلسنا بمجلس شوري ولا بجمعية عسومية ولا بجمعية تشريعية لاننا
اذا اعتبرنا أنفسنا كذلك فكأننا لم نخط خطوة إلى الامام

روح المدنية^(١)

بقلم الأستاذ انيس المقدسى

لكل مجتمع روح تتجلى في افراده . ولكل عصر مزايا هي مقومات حضارته . ونحن الآن في القرن العشرين وقد ملكنا اعنة الماء والهواء . وضبطنا قوى الطبيعة نديرها كيف نشاء فاتسعت لدينا الآفاق . وتقاربت بيننا الابعاد وتولد من جراء ذلك في عصرنا روح عامة لم يعهد لها نظير في تاريخ العمران .

على ان العمران حلقات متصلة . وليست هذه الروح الا نتيجة طبيعية لتقدم مستمر أو لحركة اجتماعية خفية . تثور احياناً كالبراكين فتدمر العمران وتقلب نظام البلدان . وتجري احياناً كماء الرياض السلسة فترويهما بلاجلية أو هيجان . وهذه الحركة المندفعة تحت ظواهر الحياة الاجتماعية لم تنحصر في عصر دون عصر أو جيل دون جيل ، بل ولدت مع الانسان وانحدرت في صلب الاجيال وبرزت بين اقوام شتى فوضعوا لها اسما عديدة ونعتوها بنعوت مختلفة . وما روح المدنية الا قس من نارها الخفية التي تنبثق منها كل الانقلابات الاجتماعية والحركات الروحية .^{١٧٦} روح المدنية ! وهل للمدنية روح ؟ هو ذا اصوات المتهمكين تتعالى من كل مكان : هل في المدنية اليوم غير المظالم والاهوال واسباب الشر والدمار ؟ قوى يستبد بضعيف . وأمة تعتدى على امة . وعلم يخدم السيف والدينار . ومظلوم يطالب بحقه فلا يجاب بغير النار . أجل وراء كل ذلك روح فعالة تدفع البشر الى الامام . روح تتمثل في يقظة الشعوب وتلمسها طريق الحياة وهي التي يخدمها كل خادم حقيقى للعلم ويدافع عنها كل متحمس لمبدأ عظيم . ولها في حياة البشر برغم فسادهم الطبيعي وغرائزهم الحيوانية مظاهر شريفة أكتفى الآن بثلاثة منها :^{١٧٧}

١- **أمرها ابراً تطلب الحقيقة :** فلا يقرر لها قرار ما لم ترالسبل حرة في وجه المفكرين المخلصين والعمال الامناء . وكل حركة تمنع ذلك هي عدوة لروح المدنية .^{١٧٨} قام في القرن السادس عشر للميلاد فلكى ايطالى دفعته ابحاثه الى المجاهرة باقوال مناقضة للمعتقدات السائدة . فقامت عليه القيامة وتهدهد اولو الامر بالقتل واضطروه أن ينكر ما قال وأن يشهد على ملائمة الناس ببطلان آرائه . ذلك لان حب الحقيقة لم يكن قد نضج بعد في ذلك العصر فكان ابنائوه عبيداً لاهوام

(١) من خطبة ألقيت في الحفلة الكبرى التي اقامتها جمعية الشبان المسيحية في باقا

وقفت حائلاً بينهم وبين النور . وهكذا جثا غاليو لاستبداد عصره . واذيق العذاب لاجل معتقده . بل هكذا عذب لاجل الحقيقة كثير من الابطال وأحرق على مذبح الجهل كثير من الحقائق . وإنما يضطهد المخالفون للمعتقدات السائدة . أو الواقفون في وجه القوى الجائرة اذا كانت روح المدنية التي هي طلب الحقيقة ضعيفة في قلوب الجمهور فلا يكثر ثون لها ولا يبالون بمظاهرة اربابها

في العلم - في الدين - في السياسة . هذه الروح تطلب الحقيقة . هي تكرمها في مذهب النشوء كما تكرمها في تعاليم الكنيسة . تنشدها في الكليات والجامعات كما تنشدها بين الازقة والساحات روح المدنية : تخدم العلم الصحيح المبني على المعرفة والروية والاختبار العلم الذي يهذب الفكر ويوسع الصدر ويخضع للبرهان العلم الذي لا يعرف وطناً غير الوجود ولا يتعصب لجنسية غير الحقيقة روح المدنية : تقدس الدين القويم المبني على الفضيلة والمعاملات الشريفة الدين الذي يرفع النفس الى المثل الاعلى ويملاء القلب حباً ووقاراً الدين الذي لا يعرف وطناً غير الله ، ولا يتعصب لجنسية غير الانسان روح المدنية : تناصر السياسة الحازمة المبنية على الاخلاص للجمهور السياسة التي تعين الامة وتخدم مصالحها السياسة التي لا تعرف وطناً غير الحق ولا تتعصب لجنسية غير العدالة !

قليل كان علماء اكسفورد في العصور المظلمة يغرم الواحد منهم خمسة شلنات عن كل مرة يكسرها تعليماً من تعاليم ارسطو . اما روح المدنية الحقيقية كما تظهر اليوم فتتشطح حب البحث وتفتح للفكر ابواب الحرية وتعمل على ازالة الاوهام والثرهات وتهيب بالانسان الى نصرة الحق والعرفان . واذا كنا نرى اليوم حتى في اميركا الديمقراطية من يقوم على استاذ ويدينه لمجاهرته بما يخالف بعض التعاليم الدينية في مدرسة رسمية . أو في مصر الحديثة من يشور على شيخ لتصريحه برأيه في مسألة الخلافة ، فيتهمه بالمروق والزندقة - فان هناك ايضاً في هذين البلدين وفي سواهما من ينادى : دعوهما وما يعتقدان . هناك رأى مهذب قد تشرب روح الحقيقة ونادى بتقديس الحرية الادبية

ابداً تطلب الحقيقة هذى الروح ليست تخشى عدى او عوادى
فهى نور الحياة ان غاب ضل الناس في سيرهم سبيل الرشاد

٢ - هذه الروح تحرم النظام ونؤثر المبادئ على الأشخاص : الناس في ادوار انحطاطهم عبيد لفرد أو لافراد ، هم عندهم الكل في الكل . فلا يعرفون نظاماً الا متى اجبروا عليه

ولا يقصدون مبدأ إلا إذا كانت وراءه قوة تناصره . فإذا ارتقوا وتنظمت حياتهم الاجتماعية تضاملت لديهم قوة الشخص امام قوة النظام وجعلوا هدفهم في الحياة خدمة المبادئ . قرأت لأحد صحافينا الأدباء ان غلادستون وقف مرة امام الملكة فكتوريا العظيمة . وطلب منها ان توقع نظاماً أقره المجلس الانكليزي ولم تكن الملكة تريده فابت وقالت : لا اوقعه . فاجاب غلادستون : إن المجلس يامولاني قد أقره فيجب أن توقعه . فالتفت اليه مغضبة وقالت : مستر غلادستون انا ملكة انكلترا وأميرة طورة الهند وتقول لي يجب ؟ قال : نعم يامولاني أنا شعب انكلترا . فكانه يقول انا خادم لنظام هو اعظم من الملوك والسلاطين . وما الحياة لو حققت الا نضال مستمر بين روحين شديدين قوة النور وقوة الظلام - ثنوية ازلية وستبقى الى آخر الايام ! ومن هم المصلحون العظام الذين ظهروا في تاريخ الامم إلا افراد قلائل تشربوا هذه الروح العظيمة فاحتملوا ووضعوا باحتمالهم أسس المدنية والارتقاء . قال بعض الحكماء الاقدمين : سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها . قول حكيم يصدق على بعض الاقطار وفي بعض الاحوال . ولكنه لا يتمشى مع روح المدنية اليوم . فهي لا تستخدم سلطاناً لانه سلطان ولا تعمل لمصلحة فرد لما له من النفوذ . بل تخدم ما تحسبه النظام الاسمي وتعمل في سبيل الخير العام . وما اوضح ذلك فيما روى من حديث خالد بن الوليد مع الامام عمر يوم عزله من قيادة الجند فبقى خالد مع ذلك يحارب ويجاهد كأحد الجنود . ولما قيل له في ذلك قال قوله المأثور : اني لا أحارب من اجل عمر ، لا ولا من اجل سواه ، يعيش الذين امتلأوا من روح المدنية اليوم ووقفوا حياتهم على نهجها . كان لأحد كبار الماليين في اميركا حفيظة على استاذ في جامعة هارفرد فبعث الى رئيس الجامعة يقول : اني اقدم عشرة ملايين دولار للجامعة اذا كانت تطرد ذلك الاستاذ ، فاجابه الرئيس : ليست جامعة هارفرد سلعة تباع وتشترى ، ليست روح المدنية تزلفاً الى شخص او طمعاً بحطام ولا هي خنوع لذي منصب او تعلق بمقام . وانما تعد الامة امة راقية متى عرف افرادها الواجب عليهم للقوى العليا وساروا بحسب ذلك الواجب بشجاعة واخلاص

قام الامبراطور الروماني كالغيولا وصدمته هزة دماغية ذهبت بانتظام قواه العقلية فبعث بالامة وهتك حرمتها ودنس باعماله رومة وشرفها . ومع ذلك جثا له خاصته وهم المبعوضون . وعبدته رعيته وهم المستضعفون . وقد بلغ به الغرور ان جعل حصانه قنصلاً (عضواً في المجلس الاعلى) فصفق له الناس استحساناً إذ لم يكن فيهم يومئذ جبارة نفوس يحترمون المبادئ السامية ويؤثرونها على الاشخاص . وقام قديماً عتاة الأمم فسخرروا الناس لغرورهم . وغواة الحروب والتدمير فسايقوا الالوف لاطماعهم . قام فيهم نيرونهم وفرعونهم وتيمورهم واضرابهم . ومع ذلك أقام لهم أهل عصرهم اقواس النصر ومدوا لهم أعناق الذل ورفعوهم الى مصاف الآلهة . ولماذا ؟ لان روح المدنية لم تكن قد خمرت النفوس فكانت القوة المستبدة عندهم كل شيء . وكانني اسمع هامساً

يقول : هي عبادة الأبطال التي ذكرها كارليل في كتابه واهاب بالناس الى تعظيمها والاعتصام بها
كلا ليست عبادة الأبطال اضرار الشخص على المبدأ وإخضاع الحق للقوة المادية . بل هي تكريم
المبادئ العليا بحسمة في شخصية عظيمة . فليكرم القائد العظيم الذي يقوم ابان العواصف فيخلص
بلاده من الخراب . وليكرم العصامي الذي يجمع الثروة بمجده واقدامه ليستخدمها للخير العام .
وليكرم خادم العلم المجاهد لينير الازهار ويخضع قوى الطبيعة للانسان . بل ليكرم كل خادم .
نعم كل خادم للمثل الأعلى في الحياة

المثل الأعلى اذ يقول المتشائمون تلك لفظة لان تكون الا في مخيلة الشعراء والفلاسفة . فالمدينة
كانت ولا تزال تحت ربة القوة المادية . القوة التي تستبد بالضعيف وتعتب بحقوقه
والمثل الأعلى ؟ ألا ترى المالبين يهزون رموسهم تهكاً ويقولون : المال ! المال !
والساسة يتغامزون ويهمسون : الدهاء ! الدهاء !

والقادة يقلقلون سيوفهم ويصيحون : الجند ! الجند !

كلا لعمري انما المال والدهاء والجند مظاهر المادة في المدنية . أما روحها التي تنير الحياة
وتجعل الارض جديرة بسكنى الانسان فهي التي حملها رجال الاصلاح في كل جيل - هي روح
الاديب الذي لا يرى في الادب غير خدمة الحقيقة - هي روح الحاكم الذي لا يرى في السيادة غير
خدمة الجمهور . وهي روح المالى الذي لا يرى المال غير آلة للخير العام . بل هي روح الطبقة الراقية
من الشعب تظهر في احترامهم لانفسهم فيربأون بها عما يدنسها أو يحقرها ويحملون لاجل ذلك
ما لا يحتمله سواهم في الحياة - هي شخصية الامة وهي حاجة الامم الشرقية اليوم . ومتى تشربت
امة هذه الروح وتمكنت من طبقات المتهمدين فيها فلا خوف عليها من عبث عابث أو جور
جائر لانها جرثومة الحياة ولن تستطيع قوة ان تقتلع جرثومة الحياة من قلب امة تحترم نفسها
وتقدس الروح الشريفة فيها

ان في هذه الحياة لحرباً بين روحين لانزال سجالات
ليس في امة رقى اذا ما غلبت شهوة الرجال الرجال

٣ - روح المدنية تدعو الى التعاون وممن التفاهم : فهي تدك الحواجز التي يقيمها

الجهل أو حب الاثرة بين الاجناس والطوائف . وتحدو الناس الى التفاهم والتعاون بدل التشاكس
والتنافر . كانت الكلمة في اول مراحل الاجتماع للعصية اي لتلك الرابطة الدموية التي تربط ابناء
العشيرة بعضهم ببعض فيتحدون بها على الغريب . وهذا ما عبر عنه ابن خلدون بال عمران البدوى .
ثم تقدم البشر فاجتمعت العصبية وتكونت منها الرابطة الجنسية او الدينية . لكن الجنس لم يبق في
بلد ما صرفاً فامتزج بعناصر أخرى وتكون من هذا رابطة الوطن . ولو راجعنا التاريخ لوجدنا أن

حسب المصلحة الشخصية وطمع الطامعين طالما جعلت العصبيات والاجناس والاديان اعداء
الذاء فتصادموا وتقاتلوا . وما موجات الحروب الجنسية والدينية في الشرق والغرب من أقدم
ازمانها الى الآن الا تجاذب لبساط السيادة وسعى في زيادة المال والحطام . ولما كانت بلادنا
بسبب موقعها الجغرافي ملتقى الشعوب النيرة ومصطدم المشارب والمذاهب ، أصبحت تربتنا
صالحة لبذور التعصب والشقاق . وطالما ذقنا منها انواع الشقاء والبلاء . ولانفردن نحن بذلك فالعالم
كله لا يزال يئن من تأثير الاطماع الجنسية ويتألم من وطأة النهرات الدينية ، على ان الانسان قد
خطا خطوة الى الامام ، فتقاربت - بفضل العلم الصحيح والتهديب الراقى - مذاهبه وجنسياته
وأصبح الفرد المثقف يرى في الانسانية وطناً هو اشرف الاوطان . وفي عبادة الله القلبية ديانة
هي فوق الاديان . ولا اعنى بالانسانية ما يدعو اليه البلاشفة من مبادئهم المتطرفة بل اعنى الشعور
العام بوجوب التعاون وتبادل المنافع ذلك الشعور الذي يحل الوطنية الحقة ويقدس الدين
الروحي فيمنع الجنس من امتهان الجنس وينزه الدين عن اذية الدين

وإن شرقنا العربي لن يتقدم الا بازالة الخواجز القائمة في سبيل عمرانه . وما عمرانه الا مقدرة
افراده وأجناسه على التعاون والتضافر ، فلسنا بعد اليوم بمجموع قبائل متعادية كما قد يصوره لنا الطمع
والحسد ، ولا نحن في عصر نستطيع ان نعيش فيه عيشة التخاذل والتضاغن ، نعم لا يزال في الشرق
كثير من عوامل التفريق ، ولكن شمس المدنية تعلو رويداً رويداً وشعور المجتمع بالمسؤولية
الانسانية ينمو نمواً مطرداً : واذا ذكرت بلادنا الشرقية فليس إلا لاننا كائناتها يهنا كل
ما يؤول الى فلاحها وارتقاها . والا فالمدنية الحقيقية العاملة على تحويل الافكار الى المصلحة
العامة والى اهتمام الفرد باحوال المجتمع - الى ارتباط العناصر المتباينة والشعوب المتعادية
برباط الشعور الانساني ، قد نفخت روحها في جميع البلدان وفي جميع الامم الراقية ، وهذه
الروح هي التي نعبر عنها بالارحية الانسانية أو « روح الخدمة العمرمية »

ومتى قويت فينا هذه الروح التي تعنى بالمصلحة العامة وتقديس المسؤولية المشتركة ظهر فينا
الشركات الوطنية القوية والجمعيات العمومية المنظمة وانبسطت اكف اغنيائنا في سبيل المشروعات
الوطنية . واتحدت الطوائف على اختلاف نزعاتها تحت علم واحد هو علم الوطنية الراقية
أما السادة - كما ان للانسان شخصية أو روحاً هي غير جسده هكذا للمدنية التي نراها ، وقد
يهولنا ما فيها من فساد وشرور مجرى داخل هو روحها الحقيقية

وهذه الروح هي التي يخدمها العلم الصحيح والدين الصحيح . وإذا تطير البعض منا لما في
البشر من ميل الى الظلم والمكر والشراسة فليطمئنوا . ان في البشر ايضاً في كل جيل ولا سيما في
هذا الجيل افراداً يضحون بمصالحهم لاجل المبدأ والحقيقة والخير العام . هؤلاء هم اقطاب الدنيا
الذين عليهم يتوقف العمران . وبروحهم تسير الانسانية الى الامام

شبابنا الجديد : آماله وأحلامه^(١)

بقلم الدكتور علي العفاني

الأبناء بالنسبة إلى آبائهم هم فلذات أكبادهم ومتجوه عواطفهم وبحل محبتهم ومعقد آمالهم . ومن أجل الأبناء يكبد الآباء ولأسعادهم يعمالون وفي تهذيبهم يجتهدون وحول نفعهم في العموم يفكرون ثم يفكرون . وهم بالنسبة إلى الوطن ذخيرته الحاضرة وروضته الناضرة وعدته في مستقبله القريب

والآباء بحكم الأبوة ويعامل الوطنية وشعور القومية هم معلو الأبناء وأساتذتهم . وبمقدار ذكاء المعلم وغزارة مادته ونوع ثقافته تكون قيمة التعليم ويكون مدى نجاحه . والنتيجة اللازمة لذلك أننا إذا أردنا أن نعرف نجوى شبابنا المصري الآن ، ونوع ما يجيش في نفسه من أمل وجب علينا أن نلقى نظرة عامة على ما بين الآباء والأبناء في مصر من صلة عقلية هي صلة التربية والتهذيب ، أو هي جماع حياتنا العقلية وصورة ثقافتنا الحاضرة في العموم

كل جيل من الأجيال يتكون حتماً - وعلى الأقل - من الاجداد والآباء والأبناء والاحفاد . والاجداد أساتذة الآباء ، والآباء بدورهم أساتذة الأبناء كما تقدم ، والأبناء بدورهم أيضاً أساتذة الاحفاد . والحياة العقلية لأية أمة من الأمم في أقصر أدوارها هي التي تشترك فيها هذه الطبقات الأربع . وطبقة الأبناء تتكيف بالكيفيات العقلية التهذيبية التي تحصل اليهم من طبقة الآباء . وهم يكيفون بها طبقة الاحفاد . وهكذا مع ما يتبع ذلك من طبيعة الرقي المرتكز على مجهود الامة نفسها ، أو المرتبط بتقليدها للامم الحية الراقية ، وبالاقتباس من مجهوداتها العقلية والعملية في القديم المجهول والجديد الغريب ، أو مع ما يتابع ذلك أيضاً في بعض الظروف من عوامل التدهور

وإذا كان الأب معلم أبنائه والابن تلميذ أبيه فالمدرسة الحقيقية التي تكون الناشئين وتكيف عقلياتهم بحكم الطبيعة ليست هي المدرسة النظامية فقط التي تلقى في حجراتها الدروس وتلقن العلوم طبق خطط موضوعة ومناهج مكتوبة وقوانين للتعليم والتعلم مشترعة ، بل هي أيضاً تلك المدرسة العامة التي لا ينصرف عنها الطالب أثناء الليل وأطراف النهار مطلقاً . وتلك المدرسة في القرية هي الدار والحقل وندوة السامر وسوق المتجر . وهي في المدينة البيت والشارع والمقهى والمسرح والمهوى والملاعب والمسجد والمعبد والمصنع والمتجر والمربع والمتنزه .

(١) اخترناها له . مقتبسة من مقال نشر بالهلل . . .

وهى فى المدينة ايضاً دور الاحزاب ونوادى الجمعيات والاتحادات والصحيفة والمجلة والرواية والكتاب والدرس والمحاضرة . هى كل ذلك وما اليه من جميع نواحي البيئة وانواع الاجتماع فى هذه المدرسة العامة والبيئة الجامعة يخرج الآباء الابناء ويهذب الابناء الاحفاد . والشباب يستقر فى عقلية ونزعاته ويستريح لحياته الحاضرة ومستقبله إذا كانت الامور كلها فى هذه المدرسة العامة والبيئة الجامعة مستقرة والحياة فيها منظمة ومدعمة وطريق المستقبل بها معبداً والآلة التى تنبه فى حياتها وتدرك وجودها وتجلى فى نفسها وتسمو فى رغباتها وترنو إلى التقدم فى صفوف الامم الحية الراقية ، تعرف أن سبيلها الاول الى ذلك - ولا شك - الرقى العلمى والتهديب الاجتماعى فتقلد غيرها فى ذلك ، وتنتج هى ايضاً بعقلها وتفكيرها انما ناص بها ، وتعين روح ثقافتها فى حدود قوميتها ، وتجدد مثلها الاعلى الذى به تمتاز . وهى فى كل ذلك ربما توفقت ووصلت الى النهاية فى المكنة القصوى بأسرع ما يكون أو بعد طويل من الزمن ، وربما تخبطت وسارت على غير هدى فلا تقطع شوطاً ولا تتقدم شبراً ، وكثيراً ما تؤوب إلى الوراء وفى الحالة الأولى يكون الشباب وثاباً فى وداعة وحكمة فيتهدى ، وناهضاً فى هدوء واستقرار فينجح ، وعاملاً فى ابتهاج وحبور فيفلح . وفى الثانية يعدو فى اضطراب وقلق فيضل . ويسرع فى حيرة واندفاع فيعثر . ويتحمس فى طيش ونزق فيخطئ . وينشط فى وجل وكدر فيخيب ويخسر . واذن فتوفيق الشباب وسروره واستقراره أو اخفاقه وكدره وحيرته - لا شك كل ذلك راجع الى حالة بيئته الجامعة ونوع مدرسته العامة وعقلية الآباء أساتذتها وما تنتجه هذه العقلية من أثر كيف نوع الحياة ويصور حالة الاجتماع

فى هذه المدرسة العامة - أو البيئة الواسعة الجامعة والمرآة الشفافة الواضحة - نلح الشباب المصرى من جهة مضطرباً فى حيرة لانها مضطربة متناقضة ، وهيان صادياً لانها جافة وجامدة . وزاه من جهة أخرى مملوءاً بالحماسة والنشاط لانها راغبة ومرغبة فى الحرية وشاعرة بالعظمة القومية وطافرة الى الرقى والنهوض . ودين الشباب فى مصر الحرية وشعاره العظمة القومية ومطمحه التقدم والرقى . ولقد ورث هذا بالطبع عن الآباء وغالى فيه بتأثير روح الوقت والنهوض العام . لذلك هو متشبع بالحماسة وشاعر بالعظمة ومملوء بالنشاط

ما تزال الترية العلمية فى مصر - برغم كل علاج فيها حتى الآن لاصلاحها - متشعبة متضاربة لا تفرق بين المروى الموروث والاسطورى القديم والعلم التجريبي الحديث . بل ما يزال التعليم الدينى والاهلى فيها لا يلتقيان عند حقيقة واحدة وعقلية متحدة عامة . وانما عقليتنا - وهى نتيجة هذه الجهات المختلفة كلها - مازالت مختلفة الالوان والنزعات والمبادئ والرغبات . وكل هذا - ولا شك - من عوامل الاضطراب والقلق المحض . وماذا ننتظر من الشباب المثقف بمثل هذه الثقافة إلا الحيرة الواسعة وعدم الاستقرار !

تصدر في مصر فريق غير ناضج في الثقافة العامة مدعياً معرفة كل شيء وناصباً نفسه الى الارشاد في كل شيء أو بعبارة عامة الى القيادة الفكرية . ولا يتورع هذا الفريق مع الاسف الشديد عن التعرض لما لا يعرف ويقرر حكمه فيه . والا مثله على ذلك كثيرة جداً : نذكر من بينها تلك الدعوة العجيبة الى اشتغال الشباب المصري بأدب قومي مصري وما يتبع ذلك من اهمال جانب الأدب العربي العام ١ . وبربك أخبرني : أين هذا الأدب القومي المصري ؟ أهو أدب الفراعنة أم أدب العرب المصريين . وفي أية لغة على كل حال قد دون هذا الأدب ؟

واذا كان هذا الأدب القومي المصري مدوناً في لغة العرب فأدب هذه اللغة هو أدب اللغة العربية العام منذ نهضتها الجاهلية الأولى حتى الآن . وغاية ما في الأمر أن مصر لها ذوق خاص فيه كما لسورية وفلسطين والعراق واليمن ونجد والحجاز وبلاد أفريقيا الشمالية وأقطار الاندلس ، من الاذواق الأدبية المختلفة . وكل واحد منها متوقف طبعاً في فهمه واستساغته على فهم الاذواق العربية الأدبية الأخرى في جميع أقطارها المترامية . وبالجملة فهذه الفكرة الزائفة والدعوة الهوجاء اليها - مع ما فيها من قول خلاب ونزعة وطنية ظاهرية براققة - ليس فيها سوى إغراء الشباب ضد الحضارة العربية والتضليل به في هذا السبيل . ماذا تكون عقليته وعواطفه مع هذا الاغراء والاضلال فيما يختص بالدين وأمه ومجد الساميين ؟

بعض الصحف اليومية وبعض المجلات تنهش الاعراض نهشاً قاسياً . وتقذف في الزعماء والقادة قذفاً فاحشاً . وهذا القذف وذاك النهش - وهما واقعان على آباء الناشئين ومعلميهم - كارثة فادحة وجريمة قومية مضاعفة تضر بأخلاقنا وبقوميتنا وشرفنا ووحدتنا (المرجوة طبعاً) وهي كما تسمى الينا وتضر بنا في كل هذه النواحي تسمى أيضاً الى أبنائنا الشبان في كل ذلك وبأى شيء يدعن الشباب والحالة هذه ؟ أبا السباب أم بالدفاع ؟ أم بهما معاً ؟ أم بأحدهما تارة وبالأخرى أخرى ؟ أم يميل الى نبذ السباب والمتساين ؟ انه في النهاية من جراء ذلك لنرى اضطراب وأسف وفي نفرة واختلاف وفي شقاق ونضال . وبئس النضال نضال الدفاع عن الرذيلة !

مبدؤنا واحد في السياسة والاجتماع سواء في ذلك الافراد والجماعات والاحزاب . ولكن عملنا مختلف أشد الاختلاف فيهما ومتنافر كل التنافر في هذا الباب : ننادى بالمصلحة القومية العامة ونعمل للصالح الفردي الخاص . ويرى الشبان ذلك وأى شيء يفقهون ؟ أبصدقون القول ؟ أم يقتنعون بالعمل ؟ . إنهم في الواقع لنرى حيرة وفي قلق . وإنهم لنرى اضطراب وضيق ذرع في كل عام يتخرج الآلاف من الطلبة . وفي كل عام يتقدم الآلاف للتعليم من الاطفال . وفي كل عام ينتقل الآلاف تلامذة وطلبة من سنى الدراسة المختلفة إلى التى تليها . وفي كل عام فى النهاية تزيد النسبة فى كل ذلك عنها فى العام السابق . ومع ذلك فستقبل الجميع ليس باسماء ، وماذا يكون فكر الشباب والحالة هذه سوى الحيرة والابتئاس والحنق على الزمان والمكان !!

يا قمر

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صرفي

من ذا يطيق السرى والليل معتكر
جهاة الليل لما ارتدت ساحته
ولم تكن لئرى من فرط حلكته
حتى ليسأل ساري الليل صاحبه
فشع نورك إيضاحاً لظلمته
فأعجب لنورك تبدي الليل آيته
وأعجب لقرصك يتفوق كل مدح
فأءـ وكل نفيس القدر منعزب
تضيء كالدارة الغراء ملتصعاً
سهران تمشي الهوينا مطرقةً أبداً
تجول المشاهد في القمرء شاحبة
يا ليت أن حياتي كلها سمر
ومن يحنُّ له لولاك يا قمر
عكستها متعةً يحلو بها السهر
مقدار حلقة ما لا يبصر البصر
هل ادلهم الدجى أم قد عشى النظر
وبات يعرف كنه الظلمة البشر
وآية النور أن يعفى الدجى العكر
وإن تعارضت الوجهات والوطر
كما نأت في قرار العيلم الدرر
وغيب الليل كالأمواج منهمر
مشى الحكيم قد استغرقه الفكر
كأن عالمها الاشباح والصور
في ليلة وسيمرى انت يا قمر